

جامعة بونكر بلقايد - تلمسان*
كلية الآداب و اللغات
مكتبة اللغة و الأدب العربي

أسلوب السرد القصصي

في

القرآن

إعداد الطالب

محمد طول

إشراف

الدكتور كمال اسماعيل

« أطروحة جامعية لنيل درجة الماجستير في الأدب العربي »

١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م.

إهداء

إلى والدي
الذي علمني أول حروف القرآن
العظيم.

شكر وتقدير

أتقدم بشكري وبعرفاني إلى استاذي
الدكتور كمال إسماعيل الذي أمدني من
فيض علمه بالأدب وباللغة وبالتوجيه
المنهجي، ما صار به البحث ناجزًا بعون
الله وتوفيقه.

محتويات البحث

الموضوع الصفحة

ب	إهداء
ج	شكر وتقدير
د	محتويات البحث
١	مقدمة

الباب الأول : مقومات القصة ، وأسلوب السرد

١٤ القصصي في القرآن -

الفصل الأول : طبيعة الحدث ، وعنصر الزمان والمكان

١٥ في السرد القصصي في القرآن

١٦ (١) - طبيعة الحدث

٣٥ (٢) - زمان الحدث

٤٣ (٣) - مكان الحدث

٥٠ تقويم الفصل الأول

الفصل الثاني : الشخصية وأسلوب السرد القصصي

٥٢ في القرآن

٥٣ تمهيد

٥٦ (١) - البعد الجسدي للشخصية

٦٦ (٢) - البعد الاجتماعي

٧١ (٣) - البعد النفسي

٧٩ شخصيات معاونة
٨٣ تقويم الفصل الثاني
الفصل الثالث : الصراع وأسلوب السرد القصصي	
٨٤ في القرآن
٨٥ تمهيد
٨٧ (١) - الصراع في قصة نوح
٨٨ (٢) - الصراع في قصة يوسف
٩٥ (٣) - الصراع في قصة موسى
١٠٧ تقويم الفصل الثالث
١٠٨ تقويم الباب الأول
الباب الثاني : اللفظة وأسلوب السرد القصصي	
١١١ في القرآن
١١٢ تمهيد في الرؤية العامة للأسلوب
الفصل الأول : الإيجاز والبسط ، في أسلوب السرد	
١١٨ القصصي في القرآن
١١٩ (١) - تمهيد
١٢١ (١) - الإيجاز
١٣٢ (٢) - البسط
١٣٩ تقويم الفصل الأول

الفصل الثاني : التناسب بين الجمل ، وأسلوب السرد

١٤١ القصصي في القرآن

١٤٢ تمهيد

١٤٥ (١) - الربط العقلي

١٤٨ (٢) - الربط اللفظي

١٥٦ تقويم الفصل الثاني

الفصل الثالث : ظاهرة التأكيد ، وأسلوب السرد القصصي

١٥٨ في القرآن

١٦٢ التأكيد بـ "إن "

١٧٠ التأكيد باللام والنون

١٧٥ تقويم الفصل الثالث

الفصل الرابع : التوافق الصوتي ، وأسلوب السرد القصصي

١٧٦ في القرآن

١٧٧ تمهيد

١٨٠ (١) - توافق الأصوات داخل الجملة والكلمة

١٨٦ (٢) - موافقة التركيب الصوتي للأحداث

١٩٢ (٣) - موافقة التركيب الصوتي للشخصية

١٩٩ تقويم الفصل الرابع

٢٠١ تقويم الباب الثاني

٢٠٤ الخاتمة

٢٠٩ المصادر والمراجع

٢٠٩ (١) - الكتب

٢٢٤ (٢) - الدوريات

٢٢٥ (٣) - المراجع باللغة الأجنبية

﴿ بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ ﴾

• مقدمة •

XXXXXXXXXXXXXX

إن أسلوب السرد^(١) القصصي من الأهمية بمكان ، فهو يجتذب
إليه الدارس ، ويعصم به الباحث ، إذ تعود مكانته إلى
ما للقصص القرآني من قيمة ، من حيث أنه إحدى الوسيلتين
اللتين أتبعهما الخالق سبحانه وتعالى ، لتبليغ أوامر
للنشر ، عن طريق الوحي بقرآن تنزل على قلب رسوله الكريم ،
حيث إن الوسيلة الأخرى هي الخطاب المباشر الذي قد لا يعتمد
على عنصر السرد ، الذي هو بمفهومه الاصطلاحي تنبأ
الأحداث ، كما أنه أيضا لا يعرض للزمن الماضي
ولسيرا أولين •

وتعود مكانة القصص القرآني كذلك ، في إطار التبليغ
بعرض أحداث الماضي المتتالية ، إلى أنه في ذاته سجل

(١) - السرد في اللغة : تقدمه شيء إلى شيء تأتي به منسقا بعضه
في إثر بعض • وسرد الحدث : إذا تابعه ، وكان جيد السبك له •
انظر : ابن منظور : لسان العرب ج ١٣ - دار صادر ، دار بيروت ص ٢١١
والسرد بمصطلحه الفني هو الخطوات التي يقوم بها الحاكلي ، وينتج
عنها النص القصصي • انظر : سمير المرزوقي ، وجميل شاكر :
مدخل إلى نظرية القصة - ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر - صص ٧٧ ، ٧٨

يحفل بصفحات من حياة الأولين ومعايشهم ، وما يجلون وما
 يحتقرون ، ما يظنون في القداسة وما يحبونه مجلبة
 للمعرة .

وهذا السجل يلتصق بالأماكن التي كانت مسرحاً لحيواتهم
 واستقبالهم لأوامر الغيب لتصديق أو الصدود ، ما أغفله
 القرآن الكريم من هذه الأماكن لحكمة عليا ، وأوحى به في
 الوقت نفسه عرضاً ، وما ذكره كذلك كان لبينة ولجلاء
 المواقف ، ولتجليات الحكمة الإلهية ذاتها ، كما أن القصص
 القرآني كذلك ثبت للأزمنة ومرجع للتاريخ ، منذ أن استدار
 الزمان ، من يوم خلق الله الكون، إلى عهد آيينا آدم عليه
 السلام ، إلى بعثة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام ،
 واختتامه تلقي نعمة الله المتمثلة في الوحي الكريم .

ولقد وقع اختياري لدرس موضوع أسلوب السرد القصصي
 في القرآن، لرؤية ألفت على ذهني ، من أن هذا الأسلوب
 لابد أن يكون واضحاً للمسلم ، لاستكشاف عظمة الخالق
 ومعرفة أسرارها ، وكذلك رغبة مني في استكمال ما بدأ
 به أجدادنا العرب من الباحثين العظام ، في التقرب

الى الله بمحاولة معرفة دلائل الاعجاز، وأسرار البلاغة
القرآنية، ولأنني أردت أن أبرهن كذلك، في ظل بعض
أساليب القول البشري، ومنها فن القصص العام الذي لم
يكن مقصوراً على الأدباء والعباقرة، بل ألهمته من قبل
الجدات والأمهات والأنايس العاديين، عندما يضيق بهم تواتر
الحديث السجال المتراتب، فيلجأون بالسليقة الى تحوير ما
يريدون أن يقولوا في صورة من الحكاية وإناابة الشخص،
أردت أن أبرهن على أن أسلوب السرد القصصي في القرآن،
في جانب كبير منه، يتمثل في ترتيب حدثي توافر له زمانه
ومكانه، وأوحي بهما.

واضطلع بهذا الحدث المعين شخص لهم سماتهم المذكورة
مع الحدث أو بعده، أو في أضعاف مما سبقه من أحداث، وأن
نزاعاً أو صراعاً معيناً له طبيعة خاصة، هو الذي يحكم هذا
الأسلوب من السرد القصصي، ويحدده، ويرسم كينونته، ثم
تأتي اللغة بوصفها أسلوباً كذلك، لتكون تتويجاً للأسلوب
الحدثي وتنمية له.

والحقيقة، أنه قابلتني مشكلات كثيرة في محاولة تتبع هذا الأسلوب والإمام بطرف يسير من الإعجاز القرآني .
 من ذلك ، مشكلة ترتيب سور القرآن ، وهذه تمنني من حيث ضرورة تقصي الخصيات وأبعادها ، والضبط الموضوع الذي ذكرت فيه أول مرة ، وكذلك توافر القصص وغناها بالحادثة الواحدة .

إن هذه المسألة قد استطعت أن أجني منها ثمرات عدة ، ذلك أن السرد الإلهي ، على الرغم من تكرير الحادثة في مواطن مختلفة ، وفي سور قصار وطوال ، لا يشوبه الاختلاف أو التناقض ؛ فهو يقلب الحدث على أوجه له عدة ، ثم إنه يصوغه على أحرف من اللغة متنوعة ، عرضاً للإعجاز ، وإظهاراً لتجلياته .

وكان لي أن أقابل قلة المراجع الكبار التي تتصل ببحثي ، يسفر إلى المشرق ، قاصد ، رأيت فيه ماشفى نفسي من النصوص ونسختها ، كما مشت قدمي في مواطن دارت أحداث بعض القصص القرآني على كتب منها ، بل إن رغبة الوصول إلى الصديق الفني حَدَّثَني أن أزور المتحف المصري ، وأقف ساعات

طوالا مستغرقا في بواطن تماثيل الجحارة التي صنعها

الفراعين لأنفسهم رغبة في الخلود .

إن البحث العلمي إضافة، وتشوف للجديد، وابتكار، ولذلك

لم أعمد إلى أن أكرر ماسبق أن انتهى إليه باحثون قبلي .

ولقد أثلج صدري وأغراني بالأضلاع بالبحث، أن جل البحوث

التي خاضت في القص القرآني لم تظن لرؤية أسلوب

السرد القصصي من الوجهة التي أستقبلتها .

وأهم هذه البحوث، البحث الأكاديمي للدكتور : محمد أحمد

خلف الله^(١)، وذلك قد فرع القصص القرآني لأجناس وأنماط، وصب

جمده الذي يشكر عليه في هذه الغاية .

ومن البحوث كذلك، ما اهتم بالدرس النفسي بمفرده

في القص القرآني، مثل ذلك، البحث القيم الذي كتبه

الدكتور : التهامي نقرة^(٢)، وتوخى فيه الجانب النفسي

لمعرفة عوامل التأثير في أسلوب القصص القرآني .

(١) - د. محمد أحمد خلف الله : الفن القصصي في القرآن الكريم

مطبعة الانجلو المصرية - القاهرة - ١٩٦٥

(٢) - د. التهامي نقرة : سيكولوجية القصة في القرآن -

الشركة التونسية للتوزيع - تونس - ١٩٧٤

وَبَحْثُ الأُستاذ : ثروت أباطة^(١) عن السرد القصصي في القرآن

بحث جيد ، تنبه فيه لمسائل قصصية فنية حديثة ومهمة ،

ترتبط به بصفته قاصّاً لامعاً ، يتوخى الناحية الإسلامية في

قصصه ويستلهمها ، ويستفيد منها في بيان القصصي ، بل

في وضع عناوين معظم رواياته .

وَبَحْثُ في الموضوع ، السيد عبد الحافظ عبد ربه^(٢) ، وأولى اهتمامه

فيه لقضية الاعجاز في قصص القرآن والعبرة من ذكرها ، كما

أفرد جزءاً كبيراً من البحث لمناقشة المتحليلين عن الهداية

والتوفيق ، كما يرى ، ودفن زيفهم وزيفهم ومقاومة تضليلهم

وزخرفهم .

ومن الكتب الحديثة التي دارت حول قصة واحدة بمفردها ،

كتاب الدكتور : خالد أحمد أبو جندي^(٣) ، ولقد حاول فينه أن

يبرهن على وجود القصة الفنية في تراثنا العربي الإسلامي

واتخذ قصة يوسف مثلاً عملياً تجريبياً للبرهنة على

افتراضه .

(١) - ثروت أباطة : السرد القصصي في القرآن الكريم - دار نهضة

مصر للطبع والنشر - القاهرة .

(٢) - السيد عبد الحافظ عبد ربه : بحوث في قصص القرآن -

دار الكتاب اللبناني بيروت - ط ١ - ١٩٧٢

(٣) - د . خالد أحمد أبو جندي : الجانب الفني في القصة القرآنية

ان من المسائل التي توقفت عندها كذلك ، ووجدت لها حلاً^(١) وفاقاً ، مسألة المنهج الذي سأدرس على ضوءه أسلوب السرد القصصي في القرآن . ولما كانت مناهج البحث شائعة ومتاحة للباحث ، فلم نسي استعراضها ووقفت عندها لأتخير المنهج الذي يفرضه درس الأدب القرآني .

ان هذه المناهج ثلاثة ، الاستدلال ، والاستقراء ، والاسترداد ،
 ١ - الاستدلال بإيجاز ، هو البرهان الذي يبدأ من قضايا نسلم بها ، وننتقل منها الى قضايا أخرى تنتج عنها بالضرورة ، دون اللجوء الى تجربة كما هو الحال في معظم مسائل الرياضيات ، وفيه ينتقل الباحث من العام الى الخاص^(١) .

٢ - المنهج الاستقرائي ، وهو باختصار ، منهج تجريبي يتم الانتقال فيه من الخاص الى العام ، على عكس المنهج الاستدلالي ، وخطواته تبدأ بالوصف والتعريف ، ثم التفسير الذي ينصب على ظاهرة ما ، ثم وضع فرض يمكن أن يكون قضية تفسيرية للظاهرة ، وتأتي بعد ذلك خطوة امتحان صحة هذا الفرض .

(١) - د. عبد الرحمن بدوي : مناهج البحث العلمي -

وكالة المطبوعات - الكويت - ط ٣ - ١٩٧٧

ان من المسائل التي توقفت عندها كذلك ، ووجدت لها حلاً
 وفاقاً ، مسألة المنهج الذي سأدرس على ضوءه أسلوب السرد
 القصصي في القرآن . ولما كانت مناهج البحث شائعة ومتاحة
 للباحث ، فلم نسي استعرضتها ووقفت عندها لأتخير المنهج
 الذي يفرضه درس الأدب القرآني .

ان هذه المناهج ثلاثة ، الاستدلال ، والاستقراء ، والاسترداد ،

١ - الاستدلال بايجاز ، هو البرهان الذي يبدأ من قضايا نسلم
 بها ، وننتقل منها الى قضايا أخرى تنتج عنها بالضرورة ،
 دون اللجوء الى تجربة كما هو الحال في معظم مسائل الرياضيات ،
 وفيه ينتقل الباحث من العام الى الخاص (١) .

٢ - المنهج الاستقرائي ، وهو باختصار ، منهج تجريبي يتم
 الانتقال فيه من الخاص الى العام ، على عكس المنهج الاستدلالي .
 وخطواته تبدأ بالوصف أو التعريف ، ثم التفسير الذي ينصب على
 ظاهرة ما ، ثم وضع فرض يمكن أن يكون قضية تفسيرية
 للظاهرة ، وتأتي بعد ذلك خطوة امتحان صحة هذا الفرض ،

(١) - د . عبد الرحمن بدوي : مناهج البحث العلمي -

وكالة المطبوعات - الكويت - ط ٣ - ١٩٧٧

باجراً* التجارب ، التي إما أن تثبت الفرض أو أن تلغيه (١)
 ٣- المنهج الاستردادي ، هوفي مجمله المنهج التاريخي الذي
 يقوم فيه الباحث بمهمة مضادة لفعول التاريخ الذي يسيـر
 قدما إلى الأمام بالأحداث ، إذ يحاول الباحث استرداد تلك
 الأحداث بدوره . (٢)

ولقد انتخبت المنهج الاستقرائي ، أو انتخبه بحثي ،
 ووضعت في إطاره الفرض الذي هو عنوان البحث ، بعد مراجعة
 وافية لمادتي ، ثم سعت بالكتابة لأقيده بشواهد وعناوين
 أحقها ، ثم لاني عولت على اتجاه نقدي آنست اليه ، هو
 الاتجاه التحليلي ، طلبا للحيدة وللتحرر من الملايات الاجتماعية
 والتاريخية والفلسفية والبيئية ، التي اصطبغت بها
 الاتجاهات النقدية ، وفي ذلك ارتبطت بالتص ، وان كان ذلك
 قد تم في حدود فن القصة الموضوعي ، بأركان القصة
 وبنائها المألوف ، دون الشاط منها ، أو المبتعد عن الأعراف ،
 فذلك ما لم أتورط فيه ، ولم أجد له ركزا في القصص
 القرآني .

(١) - د° عبد الرحمن البدوي : مناهج البحث العلمي - صص ١٢٢ - ١٣١
 وانظر كذلك ، د° غازي حسن : مناهج البحث - مؤسسة شباب الجامعة
 الاسكندرية - ١٩٨٤ - صص ٨٤ - ١١٤

(٢) - د° عبد الرحمن بدوي : مناهج البحث العلمي - صص ١١٣ - ١١٤

واذ جاء دور اللغة ، فاني قرأتها بكل امكانيات قراءة التراكيب
وربها الي مكوناتها الأولى ، وقد اهتممت اهتماما خاصا
بدراسة طبيعة الأسلوب وتنوعه وتوافقه مع الحدث والشخصيات
واساعة المتلقي له .

واستعنت في كل ذلك ، بما أتيح لي من نخب لدرس اللغة ، ابتداء
من فكر عبد القاهر الجرجاني ، الي اجراء المدي المتأثر فيه
بالمناهج الأسلوبية الحديثة ، الرابطة بين علم الأسلوب
واللغة والنحو ، كما لم أغفل عن درس الصوت في التبليغ
وفي صناعة الكلام البشري الذي ينوب عن نقله الاعجاز القرآني
في تضاعف السرد .

ولقد جاء بحثي تبعا لتسخير المنهجين ، على الشاكلة
التالية :

الباب الأول ، وسميته : مقومات القصة ، وأسلوب السرد القصصي

ففي القرآن .

ولقد فرعته الي ثلاثة فصول ، هي على التوالي :

الفصل الأول ، طبيعة الحدث ، وعنصر الزمان والمكان

في السرد القصصي في القرآن .

وقد تناولت فيه الحدث من حيث طبيعته ، وعلاقته بالزمان والمكان ، فأثبت بأنه انقسم في واقع السرد الى لون مألوف يقود الى آخر غير مألوف ، وإلى لون تقود فيه الرؤيا قافلة الوقائع نحو النهاية المرموز إليها . وأثبت أيضاً بأن ارتباط الحدث بالزمان والمكان ، كان لحتمية فنيته ، واغفاله لهما كذلك ، كان للحتمية نفسها .

الفصل الثاني : الشخصية وأسلوب السرد القصصي في القرآن وقسمته الى مباحث صغيرة ، تناولت فيها الأبعاد الجميلية والاجتماعية والنفسية للشخصيات ، فاستنتجت بأن السرد القصصي القرآني لم يغفل هذه الأبعاد ، وإنما ذكر منها ما يخدم الغرض ويفي بالحاجة .

الفصل الثالث ، الصراع وأسلوب السرد القصصي في القرآن - وهي أول محاولة لدراسة الصراع في القصص القرآني ، تتبعت فيها خصائص هذا الصراع في نماذج قصصية انتخبناها من جملة القصص القرآني ، لتوافرها على مختلف ألوان الصراع ، وتوصلت إلى حقيقة علمية تؤكّد بأن الشخصيات المتصارعة لم تكن مقطوعة عن المقدمات الأساسية ، بل ثنا ندها هذه المقدمة ، وتحركها

للسعي في تحقيقها، بارادة فولاذية لاتعرف الهواة ولا اللين .
 وكان الصراع في أغلب صورته يبدأ صراعاً فكرياً ، ثم يتدرج
 الى صراع مادي تعتمد فيه الشخصية الشريرة على القوة
 المادية المرئية ، في حين تسيطر الشخصية الخيرة وفقاً للمهم
 لالمهي، وعون رباني . وفي أغلب صورته ، بل في كلاهما كان
 ينتهي بانعقاد النصر للخير على الشر .

الباب الثاني

وسميته : اللغة وأسلوب السرد القصصي في القرآن .
 ولقد فرعته الى تمهيد وأربعة فصول .
 - التمهيد : وتناولت فيه مفهوم الأسلوبية بصورة مختصرة ،
 وكذا مفهوم الأسلوب عند الأقدمين والمحدثين ، ومدى استجابته
 لأطراف المثلث التقليدي ، (الباطن ، والمتقبل ، والنصر) .
 - الفصل الأول : الأيجاز والبسط في أسلوب السرد القصصي في القرآن
 ولاحظت بأن أسلوب القصص يختلف طولاً وقصراً حسب المواقف
 والحالات النفسية للشخصيات .
 أي أنه يقوم على الجمل القصيرة الموقعة ، اذا كان الموقف
 انفعالياً ، حتى يحصل التأثير المنشود .

ويستخدم البسط والتوسيع حين يتطلب الموقف الاقناع والافهام .
 وَيَقَامُ تَتِيْنِ الْخَاصِيَتِيْنِ يَتَسَلَطُ عَلٰى الْمَتَلْقٰى وَيَنْفِذُ فِيْهِ عَوَامِلَهُ
 بِجَوْعِي مِنْهُ، أَوْ دُونَ أَنْ يَدْرِي ، فَيُوقَعُهُ فِي أَسْرِهِ ، وَيَشْدُوهُ مِنْ
 عِقَالِهِ .

الفصل الثاني : التناسب بين الجمل ، وأسلوب السرد القصصي
 في القرآن .

وفيه وقفت على كيفية النظم الترتيبي للجمل والآيات في السرد
 القصصي ، فتبينت مسوغين أساسيين لهذا النظم ، تمثل
 أولهما في المسوغ العقلي لترتيب الجمل ونظمها في نسق
 كلامي له معنى ، وتمثل ثانيهما في المسوغ اللفظي المتمثل
 في الوسائط النحوية التي تولت التنسيق بين لبنات الأسلوب
 السردية ، فأوقعت كل لبنة من أختها موقع السداد ،
 وربطت كلاهما بما يناسبه .

الفصل الثالث : ظاهرة التوكيد، وأسلوب السرد القصصي في القرآن
 وتعد هذه الظاهرة مميزة أساسية في أسلوب السرد القصصي
 في القرآن ، تعكس قوة الصراع وحدته بين الأنبياء والكفار
 خاصة ، وبين الشخصيات الخيرة والشريرة بصفة عامة ، حتى

أن القارئ أو السامع يحس بأن الأسلوب نفسه يصارع ويناضل ،
وهذه هي طبيعة أسلوب السرد في القصص القرآني ، لم
يلتزم الحياد أمام المواقف ، بل يخوض المعركة إلى جانب
الشخصية ويناصرها .

الفصل الرابع : التوافق الصوتي ، و أسلوب السرد القصي في القرآن .
ولقد تناولت فيه الأصوات وتآلفها داخل الكلمة والجملة ، ثم
موافقة الأصوات لما عبرت عنه من أحداث ، وأخيرا موافقة
الأصوات للشخصيات ، فوضحت خصائص هذا التوافق الصوتي في
قصص القرآن ، وكيفية تجسيد القص للسامع والقارئ في صورة
صوتية معبرة .

وإذ أتممت هذا البحث ، فالله أرجو أن يثيبني عليه بقدر
ما أضمرت من نوايا حسنة ، وما أردت به أن ألبث ما استطعت
في رحاب من بيان الله .

وعلى الله قصد السبيل .

الباب الأول

مقومات القصة
وأسلوب السرد القصصي في القرآن

الفصل الأول

طبيعة الحدث وعنصر الزمان والمكان
في السرد القصصى في القرآن

١. طبيعة الحدث

٢. زمان الحدث

٣. مكان الحدث

٤. تقويم الفصل

١ - طبيعة الحدث في السرد القصصي في القرآن .

(١) يقع الحدث في السرد القصصي القرآني ، في الأغلب الأعم ، على شاكلتين :
 أ - وقائع مألوفة اعتاد الناس مثلها ، ودرجوا على رؤية صنوفها ،
 تصير إلى أخرى غير مألوفة ، تخرق الناموس ، وتجري على غير
 سنن ، وتجعل من تصيبهم أحاديث وعبرا .

ب - أعمال تبدأ برؤيا ، ثم تجري على وتيرة من صنفا ما جرت
 عليه الأولى ، وقد تصل إلى غايتها بتحقيق الرؤيا ، حيث
 تتوافر العبرة ، ويصل الشك في النبي إلى مستقر من
 اليقين .

والحدث في القصص القرآني رُكِّبَ على هذه الشاكلة المزدوجة
 ليبين قدرة الله خالق كل شيء * ، وإعجاز هذه القدرة وتصريفها
 في الخلق ، وليسلط أضواء كاشفة على طبيعة الرسل ؛ من حيث
 انهم بعثوا مبشرين ومُنذرين ، وأُ نعم على صلة بالـلـه ،
 " وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مَبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ، فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا

(١) - الحدث في اللغة : هو وقوع شيء لم يكن ، حدث أمر : أي وقع

انظر : ابن منظور : لسان العرب - ج ٨ - دار صادر - دار بيروت - ص ١٣٦

والحدث في الاصطلاح النقدي : يعني تركيب الأفعال ، أي تسلسلها وترابطها .

انظر : د. أحمد كمال زكي - دراسات في النقد الأدبي - دار الأندلس -

للمقدمات الفاسدة من قبل الكفار والعصاة والمنافقين ، الى غير
المألوف والغريب ، ولكنه مألوف بتصور ما ، أو مخفف الغرابة ،
أو يتخلله اللطف .

وسنضرب أمثلة للّونين في القصر القرآني ، فننتبع تسلسل
كل منهما وتطويره ، من بدايته المألوفة المعمودة ، التي
غايصت درجنا على تسميتها بالمعجزات والآيات البينات .
وسنرتب الأمثلة وفقا لأزمنتها التي كثيرا ما تتوافق مع
مجيء الرسل وتحملهم الرسالة .

١ - اللون المألوف الآيل الى غير المألوف

وما نبدأ به من اللون المألوف الذي يتحول الى غير المألوف ،
وقائع قصة ابني آدم : قابيل ، وها بيل .
ان الحدث المألوف في وقائع هذه القصة ، يتمثل في تقدم الأخوين
بقربانين الى الله ، " فتحرى ها بيل أجود غنمه وأجود طعامه
فقربه ، وتحرى قساين شرماله وقربه " (١) ، وانتظرا القبول منه ،
وكل منهما لا يعلم موضعه عند خالقه من القبول أو الرفض ،
حتى يقع برهان من الله ، وتحدث آيته التي قد تكون مألوفة

(١) - المسعودي : مروج الذهب ومعادن الجوهر - م ١ -

على زمانهما ، وغير مألوفة لنا نحن الذين اعتدنا السواء ، واطمأن
لنا إلى حد ما الريث للمشوبة والعقاب .

والبرهان الذي وقع ، وهو كذلك الآية ، يحمل دلالة رمزية للرضى
من أحدهما ، والرفض من الآخر ، الرضى من هابيل ، والرفض من
قابيل ، " وكانت علامة القبول في ذلك الزمان ناراً تأتي فتأكل
المتقبل ولا تأكل المردود " (١) .

ويفهم الأخوان من هذه الظاهرة أن الله تقبل قربان أحدهما وهو
هابيل ، دون أن يتقبل قربان الآخر ، وهو قابيل ، فيمتلئ
قلب قابيل ، وهو صاحب القربان المردود ، حفيظة على أخيه
وموجدة ، وينذر بالقتل ، ثم يقتله بعد أن يأبى الأخ المالح
هابيل أن يبسط يده إليه ليقتله .

وبرهان تال عجيب آخر يطرأ على سير الأحداث ، وهو من تصريف
العناية الالهية ، ظاهره الرحمة ، وباطنه موالاة تأنيب الضمير
والعقاب ، فما يكاد قابيل ينفذ يديه من قتل أخيه حتى
تطراً له مشكلة لم يكن يحسب لها حساباً على ما يبدو ، وهو
أن فعل القتل خلفه جثة لا يعلم كيف يوارىها ، ولكن الله
يرسل إليه غرابين يتعاركان ، فيردى أحدهما خصمه ، ثم ينجز

(١) - الطبرسي : مجمع البيان في تفسير القرآن - م ٢ ج ١ -

ونجد مثل النمط الحدثي المتكون من الوقائع المألوفة الآتية
الى غير المألوفة، في قصة أخرى ، هي تلك التي كانت بين نوح
وابنه ، حين أراد استنقاذه من الطوفان ، فأبى الابن وجادل أباه
بمقدار ما ظهر له من الأمر ، وما سارت عليه قوانين الكون ، وما
عمده في اختلاف الليل والنهار ، وما تيسر حوله من طبائع
الأشياء ، ومن الأرض وخصائصها وميئاتها ، ومنما ما يحيي من
الوابلأ والمطر أو السيل ، إذ زعم الابن لأبيه ، في محاوره ، انه
سأ يوالي جبل يعصمه من الماء ، وأفاده الأب النبي بأنه
لا عصم من أمر الله إلا من رحم ، قال تعالى ساردا هذه المعجزة :
" وَنَادَى نُوحٌ أَبْنَاهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ ، يَا بُنَيَّ أَرَأَيْتَ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ
الْكَافِرِينَ ، قَالَ سَآ وَي إِلَي جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَآءِ ، قَالَ لَا عَاصِمَ
الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَجِمَ " (١) .

وهكذا الحدث الكبير غير المألوف يأخذ بعقب ما ترتب على
قول ابن نوح من فعل وأداء ، تتمثله في صعوده الى الجبل
وهلاكه حين فاض التنور ، وبدأ الطوفان ، وحال العوج بينه
وبين أبيه ، فكان من المفترقين . (٢)

(١) - سورة هود : ٤٢ ، ٤٣

(٢) - أقام نوح ومن حمل معه في السفينة على ظهر الماء خمسة

أشهر ، وغرق جميع من بقي على الأرض .

انظر : المسعودي : مروج الذهب - م ١١ - ص ٣٤

وكان فعل الطوفان أمرا غير مألوف يَتَلَكَّ الصورة عند البشر،
 لم يصدقها ابن نوح نفسه ، ولم يكن نوح أيضا يعرفه الا بما
 أَوْحَى اليه الله من علامته وَنُذِرِهِ ، فصار هذا الفعل هو القطر
 الخارق في السرد القصصي القرآني .

وتشكيل الحدث في القصص القرآني على الصفة السالفة التي
 لاقيناها في المثالين السابقين المتعلقين بابني آدم وابن
 نوح ، نجده كذلك في وقائع قصة ابراهيم مع النمرود وشيعته .
 وحلقات الاجرام في الجزء الأول المألوف من هذه القصة معتادة ،
 من حيث تكسير ابراهيم الأصنام التي لا تنفع ولا تضر ، والتي
 يقول في واحدها ابن الكلبي : " اذا كان معمولا من خشبٍ أَوْ نَهَبٍ أَوْ مِثْنِ
 فضة على صورة انسان ، فهو صنم ، واذا كان من حجارة فهو وثن (١) ،
 ثم استجواب ابراهيم من قبل الكفار عن علة تكسير هذه الأصنام
 التي تعد آلهة ، وردود ابراهيم المؤنبة للنمرود وأتباعه ،
 وحطه من قدرهم ، وتسفيه عقولهم ، فهذه الحلقات ما يمكن
 أن تدخل في باب التقاضي والتحاكم العهوديين ، والاختصاص الشائع
 ونفاد الصبر كذلك ، والحكم بالاحراق الذي صدر على ابراهيم ،

(١) - ابن الكلبي : الأصنام - تحقيق : احمد زكي باشا -

هما من الأعمال العادية التي يتركز اليها الطفافة ، حين تفلس
 حججهم العقلية ، وتفقد قلوبهم هواءً ، ولننتسب الحلقاات تتالى
 في نعاء ، " قالوا أأنتَ فعلتَ هذا يا إلهنا يا إبراهيم ؟ قال :
 بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون ، فرجعوا إلى
 أنفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون ، ثم نكسوا على رؤوسهم ،
 لقد علمت ما هؤلاء ينطقون ، قال أنتعبدون من دون الله مآلاً
 ينفعكم شيئاً ولا يضركم ، أتلكم ولما تعبدون من دون الله ،
 أفلا تعقلون ، قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين (١)
 إن الفعل الخارق للعادة هو الناموس الذي تسلط على النار بعد
 ذلك ، فأبطل قانون الإحراق فيها ، وأبقى على خاصية الإنسار
 والإسراق ، عندما أمر الله النار قائلاً : " كوني برداً وسلاماً على
 إبراهيم (٢) ، فلم تحرق منه إلا وثاقه (٣) .

إن هذا الفعل كان آية من آيات الله ، وعلامة من علاماته هيمنته
 على كل ما في الكون ، حتى أن النمرود لما أطل على إبراهيم من
 المرح وهو في النار ، رآه " في روضة ، فقال : إني مقيرب إلى الهك ،
 فذبح أربعة آلاف بقرة ، وكف عن إبراهيم (٤) .

(١) - سورة الأنبياء : من ٦٢ إلى ٦٨

(٢) - سورة الانبياء : ٦٩

(٣) مالزمخشي : الكشاف - م ٣ - دار الكتاب العربي - بيروت - ١٩٨٦ ص ١٢٦

(٤) - نفسه : ص ١٢٦

ان النمرود لم يعتقد رؤية مثل هذه الأحداث على أرضه • وإقراره شهادة
من مكذب تؤكد صدوق الحدث عن المألوف، وإفلاته من أن يكون في طوق
البشر ، مما يجعله من صنع الله سبحانه •

ومن المعروف أن آيات أخرى وبراهين خارقة للعادة ، تدل على سيطرة
الله على الكون ، وهيمنتته على أسراره ، قد نعمت برهان النار ، وهو
البرهان الذي آلت إليه كثير من الأحداث المألوفة غير المحسوبة
العواقب في قصة ابراهيم •

ومن هذه الآيات ، طلب ابراهيم من النمرود أن يأتيه بالشمس من
المغرب ، وتغيير عاداتها من إتيانها من المشرق ، ليعجز النمرود
عن ذلك ، كعجزه أيضا عن أن يحيي ويميت ، بمعنى الأحياء والإماتة
الحقيقيين •

ومن اللون الحدسي المتطور من المألوف، إلى طبيعة تبطل القناعة
وتخرق الناموس ، تلك الحادثة التي وقعت لموسى عليه السلام مع
فرعون ، فكانت نقطة تحول في حياة بني اسرائيل ، حيث وضعت حدا
لظلم فرعون لإياهم ، ومنحتهم الحرية والسيادة ، ودفعت عنهم
الجور، فقد التمس موسى مع بني اسرائيل الخروج من أرض القبط ،

تنفيذا لأمر أوحى إليه من ربه^(١)، وسار بهم في اتجاه لا يخلو من
 قصد ، وكلهم شعور بالخوف ، لعلمهم بأنهم " مطلوبون من فرعون
 وجنوده ، وهو جاد في ملاحقتهم يريد أن يعيدهم الى العبودية والقصره
 لأنه معتقد بأن هؤلاء الفارين هم جنود آبقون وأتباع مارقون " ^(٢)

ولما تراءى الجمعان ، خشي أصحاب موسى من العاقبة التي ستكون أليمة
 لأن نهاية الأحداث أمام هذا الموقف لا تكون إلا بأحد طريقتين ، " إما أن
 تستسلم الجماعة الضعيفة القليلة للقوة الغالبة " ، وعندئذ ^(٣)
 سيكون مصير أتباع موسى العذاب الأليم ، والإهانة
 الماحقة ، " وإما أن تشارك في معركة غير متكافئة

(١) - الوحي يكون على صور ثلاث:

إحداهما : إلقاء المعنى في قلب النبي ، أو نفثه في رُوحه .

وثانيتها : تكليم النبي من وراء حجاب ، كما نادى الله موسى من

وراء الشجرة ، وسمع نداءه .

وثالثتها : حين يلقي ملك الوحي المرسل من الله الى نبي من الأنبياء

ماكلف القاءه ، سواء أنزل عليه في صورة رجل ، أم في صورته المَلَكِيَّة ،

وقد جمعت الصور الثلاث في قوله تعالى : " وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِمَهُ اللَّهُ

إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلُ رَسُولًا فَيُوحِي بِلَاذِنِهِ مَا يَشَاءُ " ، الشورى : ٥١ .

لمزيد من الاطلاع ، انظر : البخاري : صحيح البخاري - ١/٦٧ رواية العارث بن هشام

وانظر : الفارابي : المدينة الفاضلة - موفم للنشر - ١٩٨٧ من ١٠٥ - ١٠٧

(٢) - محمد أحمد جاد المولى : قصص القرآن - المكتبة الأموية -

دمشق - بيروت - ١٩٧٨ .

(٣) - عبد الحافظ عبد ربه : بحوث في قصص القرآن - دار الكتاب اللبناني - بيروت

(١)

يستأصل فيما فرعون الباطن من بقي من بني اسرائيل "

وسير الحدث في هذه الأزمة يتحول تحوُّلاً لم تألفه النفوس ، ولم
تعهد مثله ، حين يصب موسى عماء التي يتوكأ عليها ، ويحس بها
على غنمه ، الى البحر ، فيضرب ماءً بها ، فيحدث ما لم يكن
في الحساب ، وما لا يترقبه العقل ، إذ ينمطر الماء مطريين
متباعدين ، بينهما طريق يبس ، فيدعو موسى بني اسرائيل
الى السير فيه ، فيلجونه وهم بين التهنئة والعجب ، وبين
اليأس والأمل ، ويرى فرعون هذا الطريق فيقتحمه خلفهم
هو وجنوده . (٢)

وما يكاد بنو اسرائيل يجتازون البحر ، حتى تأخذ فرعون
المفاجأة ، حين يرى الموج يطبق عليه وعلى شيعته ، ويأخذ
بأنفاسه ، ثم يمينه الله ليطحر البحر بدنه خارج الماء . (٣)
ويسدل الستار على هذا المشهد الخارق الذي كان تتويجاً
لأحداث سبقتة ، اتسمت بعدم الغرابة .

(١) - السيد عبد الحافظ عبد ربه : بحوث في قصص القرآن - ص ١٧٤

(٢) - عفيف عبد الفتاح طيارة : مع الأنبياء - دار العلم للملايين -

ط ٨ - ١٩٨٠ - ص ٣٣٩

(٣) - يقول تعالى : " فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَ آيَةً "

سورة يونس : ٩٢

كان يمشي عليها مرحا مختالا لتبتلعه ، وتبتلع كل أمواله
 وَكُفِّلَ وَلَوْعِهِ ، وتزِيلُ آمَالَ الْمُتَمَتِّينَ مِنَ الَّذِينَ يَرِيدُونَ الْحَيَاةَ دُورًا .
 ومن خلال تتبعنا لأحداث قصة قارون ، نتبين أنها ابتدأت مواتية ،
 ثم صارت بالصفة نَفَسًا بِالسِّيِّ ان بلغت ذروة كانت تتطلب عندها
 حلا عاجلا ، وكان الحل انقلاباً لم تكن من صنفه المقدمات ، بل
 السوابق ؛ إذ كان حلاً عجيبياً تداركت النفوس أمورها على إثره ،
 وعادت الى صوابها ، فنطقت بالألسن ، " لَوْلَا أَن مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا
 لَخَسَفَ بِنَا ، وَيَكَانَهُ لَافْتِحَ الْكَافِرُونَ " (١) .

إنَّ القصة لممت أطرافها بهذه الحادثة ، ووضعت نهاية لاستطرافها ،
 وهي نهاية لاطاقة للبشر بها ، إلا أنها تنامت من الأحداث المألوفة ،
 من سفاسف القول الذي يجترحه العامة أحيانا ، وجهلة الكفار
 الذين يحسبون أنهم على علم ، مع أنهم لم يتم امتحانهم بعد .
 إن سرد مثل هذه الأحداث في القرآن ، أدى بكفار مكة الى وصف القرآن بأنه
 أساطير الأولين ، لأن عقولهم قصرت عن تصديق هذا التواصل الانقلابي (٢)

(١) - سورة القصص : ٨٢

(٢) - روي أن النظر بن الحارث حين سمع اقتصاص الله لأحداث القرون العاضية
 قال فيما حكاه القرآن عنه : " لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ " .
 الأنفال : ٣١ - وهو الذي جاء أيضا من بلاد فارس بنسخة من حديث رستم
 واسفنديار ، فزعم أن هذا مثل ذلك ، وأنه من أساطير الأولين .

في تنمات الأحداث؛ إذ أنهم لم يحكموا إلا بالظاهر ، ولم يدركوا
 أن وراء المحسوسات قوة المية هي علة الوجود ، يجب
 أن نضعن لها ، على الرغم من أن الحسن لا يقع عليها .

٣- الأحداث المبدوءة برؤيا

لم يكن تشكيل الحدث على الصورة التي أسلفناها ، من حيث
 انتقاله من حالة مألوفة إلى غير مألوفة ، هو الصيغة الوحيدة
 للحدث في السرد القصصي القرآني ، فثم صيغة أخرى يقوم فيها
 الحدث على رؤيا ، ترسم فعاليتها وتحدد له النهاية ،
 من ذلك مثلاً ما تشكلت في صورته قصة يوسف عليه السلام ، حيث
 ابتدأت برؤيا أبصر فيها يوسف في منامه أحد عشر كوكباً والشمس
 والقمر في سجود له .

ولقد قص يوسف على أبيه ما رأى في منامه ، ويفطن يعقوب لما
 تحمل هذه الرؤيا لابنه من شأن ، ولما تبيّن له من خطر ،

== وانظر : النيسابوري : تفسير ، غرائب القرآن و رغائب الفرقان -
 المطبوع على هامش : جامع البيان في تفسير القرآن - للطبري -

وبنأه الله أن تجي* سنون سبع مجدبة ، فيحصل " جوع وقحط ، لاسيما
 في البلاد المجاورة ، كفلسطين ، لعدم استعداد أهلها لمثل هذه السنة " (١) ،
 فتجي* الوفود الى مصر تطلب الغوث والمدد .

ويحل إخوة يوسف بمصر فيمن يحلون ، فيعرفهم يوسف ، ويطلب منهم
 أن يحضروا أخاهم الذي لم يصطحبوه معهم ، وإلاّ منع عنهم الكيل ،
 فيراودون أباهم بشأنه ، فيرض بعد إبا* ، ويحتجزه يوسف بدعوى
 أنه سرق في رحله صواع الملك ، ويفقد يعقوب بصره من الحزن على يوسف
 وأخيه اللذين نهبا عنه ، ليستعيد بصره عندما يأتيه البشير بقميص
 يوسف ، بعد أن يتعرف منه عليه ، ويدرك ، في الوقت نفسه ، أن أخاه
 محتجز عنده ، ثم يَفِدُّ الأب والأخوة الى مصر ، فيدخلونها آمنين ،
 فيرفع يوسف أبويه على العرش ليسجدوا له جميعا .

وهكذا وجدنا الأحداث تسير وفق ما خططت الرؤيا ، "حتى اذا تعققت ،
 انتهت القصة " (٢) . يقول تعالى على لسان يوسف : " يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ
 رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ، وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ
 وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَعَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي " (٣) ،
 وبذلك استدارت القصة وعادت من نهايتها الى بدايتها ، ليتحقق

(١) - عبد الفتاح طهارة : مع الأنبياء* دار العلم للملايين - ط ٨ - ١٩٨٠ -

(٢) - سيد قطب : التصوير الفني في القرآن - دار الشروق بيروت - القاهرة

(٣) - سورة يوسف : ١٠٠

مارآه يوسف من أحداث في منامه ، تلك الأحداث التي أوجزتها الرؤيا ،
أواقصرت على آخرتها .

وفي ساق الرؤيا هاته ، وقعت رؤى ثلاث ، ألمحت بتحققها الى دفع
الأحداث كي تحقق الرؤيا المحورية ، إذ نجد رؤى بيتي الفتيين الذين
أولجنا السجن مع يوسف ، حيث أطلعنا السرد علي مبريها ، من حيث
ان أحدهما سيسقي الملك خمراً ، وسيصلب الثاني ، وليرشد النبي نجا
الملك الى يوسف .

وتحققت رؤيا الملك كذلك بالكيفية التي أولما يوسفه حين لجأ
اليه الملك ، " يَوْسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ ، أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سَيَّمَانِ
بَنَّا كُلُّهُنَّ سَبْعُ عِجَافٍ ، وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخْرَى بَيْسَاتٍ ، لَعَلِّي أَرْجِعُ
إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ، قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا فَمَا حَصَدْتُمْ
فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ ، ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعُ
سِنِينَ يَأْكُلُنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهَا إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْمِلُونَ ، ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ
ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يَغْفَا النَّاسُ فِيهِ وَيَعْصِرُونَ " (١) .

وبذلك التحقق تظهر فعالية هذا الأسلوب المعجز المغييب
الذي ساق به السرد القصصي القرآني الأحداث ، من رؤيا ، ثم
أحداث ، ثم تحقق الرؤيا .

(١) سورة يوسف : من ٤٦ الى ٤٩

إن هذا الأسلوب مُسْتَنَسَخٌ من سَيْرِ الأحداث في العالم القديم ، وهو السير الذي لم يقع في إحدراك الذين اعتمدوا على الملاحظة العلمية والتجارب ، وعلم التحليل النفسي .^(١)

ويدخل في إطار الحدث الذي تتولي فيه الرؤيا ألا يَمَازُ بما يليها من أحداث ، مارآه الرسول (ص) في منامه قبل احتدام المعركة في غزوة بدر الكبرى بحيث بين له الله في الرؤيا كثرة المشركين قلة ، وذلك تثبيتها منه للرسول (ص) ، وللمؤمنين ، ورفعاً لروحهم الجهادية الصادقة ، ودفعا لهم على مواجهة المشركين ، لأنهم " خرجوا من غير استعداد لقتال ، ولولا هذه الرؤيا النبوية المبصرة ، لاختلص أمر المؤمن بين من يريد المواجهة وبين من لا يريد " .^(٢)

إن الرؤيا هنا أدت دور الحافز الموجه للأحداث ، الواضح لنقطة الوضوح في الختام ، فكانت بذلك صادقة في دلالتها ، وليست فقط هي ارتباطا بين مقدمات ونتائج ، أو نتيجة لأمر يترقبه الحالم

(١) - يرى فرويد ، مؤسس مدرسة التحليل النفسي ، أن الأحلام لاتنبأ بالمستقبل ، وإنما هي ظاهرة تكشف عن صراعات جنسية أو وجدانية يعانيها الفرد ، أو أنها تعبير عن رغبات مكبوبة منذ الطفولة .

انظر : د. حلمي المليجي : علم النفس المعاصر - دار المعرفة الجامعية

ط ٥ - ١٩٨٣ - ص ٢٧٠

(٢) - د. عبد الحميد محمد العاشمي : لمحات نفسية في القرآن الكريم -

مكتبة رحاب - الجزائر - ص ٢٣٣

أويرغب فيه ، كما يرى بعض علماء النفس (١)

وتنصر الرؤيا وإن يدبر اللقاء في اليقظة ، فيرى المسلمون المشركين

قلة ، فَيَتَسَجَّعُونَ عَلَيْهِمْ ، ويرى المشركون المسلمين قلة فيتدرجون

اليهم ، وتدور المعركة ، فتحقق نبوءة الرؤيا ، وينتصر المسلمون .

ولقد عبر السرد عن الرؤيا وما تلاها من أحداث في قوله تعالى :

"إِذْ يُرِيكُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا ، وَلَوْ أَرَاكُمْ كَثِيرًا لَفِطَنَّاكُمْ

وَلَتَنَازَعَنَّكُمْ فِي الْأَمْرِ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ ، إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ،

وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي آعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي آعْيُنِهِمْ

لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا " . (٢)

لقد جند الله الرؤيا بالتصل بالمسلمين الى ما ينتظرهم في آخر

الغزوة من نصر ، فكان عدد الكفار أثناء القتال ، هو العدد الذي

أحصته الرؤيا ، وليس هو العدد الحقيقي الذي وجدنا بالمعاصرا

له في قول عبد الله بن مسعود الذي حضر القتال وشهد النصر ،

واستجوب أسرى المعركة عن عددهم .

وهكذا وجدنا الرؤيا لا تخاطر عبثاً ، بل لتؤدي دورا هو ، بالتقريب ،

املاء لمعجزة الله بالحدوث والتكال الذي أوعده به الكفار .

(١) للاطلاع ، انظر : د. حلمي المليجي : علم النفس المعاصر - ص ٢٧٠

(٢) - قال عبد الله بن مسعود : لقد قللوا في أعيننا يوم بدر حتى قلت لرجل

إلى جنبي ، أتراهم سبعين ؟ قال : أراهم مائة ، قال : فأسرنا رجلا منهم

فقلنا : كم كنتم ؟ قال : ألفا .

انظر : الطبري : جامع البيان في تفسير القرآن - م ١٠ - ص ١٠

وانظر : الزمخشري : الكشاف - م ٢ - ص ٢٢٥

(٣) - سورة الأنفال : ٤٣ ، ٤٤

٢ - الزمن والسر القمصي

ان للزمن في بناء القصة دورا يشبه ذلك الذي يلعبه اللون في اللوحة الزيتية؛ فهو يعطي للحدث صبغة خاصة تميزه للحين الذي وقع فيه، وتضفي على الجو العام له ظلالاً توحى بأبعاد دلالية، تسمح بما حدود التأويل.

- والسر القمصي في القرآن سخر عنصر الزمن لأمر عدة منها:
- أ - التحديد التاريخي للأحداث.
 - ب - الاعجاز بذكر الزمن.

أ - التحديد التاريخي للأحداث

ينقل السر القمصي في القرآن الزمن الذي وقعت فيه الحادثة، مما يجعل الحادثة مبعثاً للجدل، من حيث التمديد أو التكذيب، ويؤهلها لتعامها وللتصور.

والطرف الزمني الذي اختاره أخوة يوسف لتنفيذ المكيدة مثال على ما أسلفنا، إذ يقول تعالى: " وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ، قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا نَهَيْنَا النَّسْتِيْقُ وَتَرَكْنَا يُوْسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّبَابُ " (٢) ، فلقد ورد الطرف "عشاء" في حادثة المكيدة وهو يحمل صفتين:

(١) التأويل عملية محدودة تخضع لعاملين:

أ - داخلي للنص: الموء لف يوضع علامات لتأويله الأفعال

ب - خارجي عن النص: وهو المضمون الثقافي (العرفه التأثيراته، المراجع...)

صفة اشارية تدل على الزمن المادي الذي احتضن حادثة المكيدة،
 وصفة ايحائية تومى إلى أبعاد قد تظهر من وراء اللفظ
 التصريحي، المخول لوقوع الحدث بالفعل، ولتوقع حدوثه؛
 ذلك أن هذا الميقات من الليل ساعد على أداء الفعل تحت
 جناح غسقه، دون أن يعلم أحد من أمر المكيدة عيئاً، كما أنه
 من جانب آخر نَمَّ عن كذب أبنا يعقوب عما اعصوه من أكل
 الذئب لأخيهم يوسف وهم عنه غافلون، لأنهم "لو كانوا
 صادقين فيما أخبروا، لسارعوا إلى أبيهم بالحدث في وقته،
 لأن مثل هذا الحدث لا يسكت عنه لحظة" (١).

وبذلك يكون قد تآزر ظلام الليل مع ظلام الكذب بجليخفيا
 الحقيقة عن يعقوب، غير أن يعقوب عليه السلام، قد
 فطن للمكيدة، ونفذ ببصيرته التي التذبير، وعلم أن لله
 شأناً في ابنه يوسف، وهو لأبَدَ بالفه.

ولقد حرص السارد على ذكر هذا الظرف الزمني "عشاء" لما
 له من أهمية في سير الأحداث، ولما يوحى به من إلهام
 بالحوادث المستقبلية، ذلك أنه جعلنا نتكهن بما
 سيقع ليوسف من أحداث درامية تلي حادثة المكيدة،

(١) السيد عبد الحافظ عبد ربه: بحوث في قصص القرآن ص ٥٩

لأن " العشاء " تتوالى بعده مواقيت أخرى ، ومن ثمَّ فقد كان لفظاً موحياً بما يلي الظلام ، من انجلا * للصبح ، قد يكشف الحقيقة ويزيل الأحزان ، لأنه ما كان لليل أن يستمر دون أن يكون له صبح .

ومما أسلفنا من قيمة الايضاح الزمني ، نتبين ميقات المبارزة بين موسى والسحرة ، حيث جاء ذلك في قوله تعالى :
" مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ ، وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى " ^(١)

ان اليوم الذي وقع عليه الاختيار ، ليكون فضاء زمنياً للمبارزة ، لَيْحَيْلُ من الدلالة الشئ * الكثير ، ذلك أنه " يوم عيد كان لهم ، أو سوق ، كانوا يتزينون فيه " ^(٢) ويتخذونه موعداً يتفرغون اليه من كل شغل ، ويقدمون على زهائه من كل صوب . ولقد وعدهم موسى ذلك اليوم ، ليكون ظهور الحق وزهوق الباطل على رؤوس الأشهاد ، " وليسمع أمره العجيب في الأقطار والأعمار والأكناف ، ففي ذلك تقوية دين الحق وتكثير راغبيه ^(٣) وقللة شوكة المخالف وتموين عزائمهم " .
كما أن للضحى دلالة زمنية تصريحية توحى بأخرى رمزية ،

(١) سورة طه ، ٥٩

(٢) الطبري : جامع البيان ، في تفسير القرآن ، م ١٦ ج ١٦ ص ١٣٤ - ١٣٥

(وانظر الزمخشري : الكشاف ، م ٣ ص ٧١

وانظر : القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج ١١ دار الكتاب العربي - بيروت
ص ٢١٣

(٣) النيسابوري : غرائب القرآن و رغائب الفرقان - م ٨ ج ١٦ ص ١١٢

تسمى الى غاية الموضح التي يريدها السارد، حتى تتبين
 الأمور، وتنجلي الحقائق، أمام كل ذي بصيرة، لأن أمر الله
 ليس فيه خفاء ولا ترويح، بل هو حقيقة ساطعة سطوع
 شمس الضحى (١).

إِنَّ لهذا الاختيار الزمني خطره في تأزم الأحداث، وفي تفجيرها،
 ذلك أنه جعل السحرة الذين استنجد بهم فرعون لتدعيم موقفه،
 يبذلون المهج، لا نتزاع الفوز في المباراة، وتحقيق أميل
 فرعون، وبذلك الحصول على الجزاء الأوفر، والمكانة العليا، وحقق
 موسى، عليه السلام، للعمل على اظهار الحقيقة الالهية، وابطال
 زيف السحرة، وَمِنَ ثَمَّ الكشف عن ضلال فرعون، ليتبين الحق من
 الباطل، وتسفر الهداية من الضلال، وهذا أمام حشد كبير
 من القوم وأعيانهم، وفي وضوح النهار، حيث تكون النفوس
 مرتاحة مشرقة، والرغبة قوية وأكيدة في التعرف على المنتصر
 والمنهزم.

وهكذا كان ذكر زمن هذه المباراة من تدبير حكيم خبير، فالزمن
 فيها عنصر فعال، له وزنه وله ايقاعه، وليس بحشو أو فضلة
 في النص، كما أنه يلقي الضوء على مكر فرعون الذي يمثل
 الطرف المناوئ المضاد في القصة.

(١) خص موسى الضحى، لأنه أول النهار، فلو امتد زمن المباراة فيما

بينه وبين السحرة، كان في النهار متسع.

انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١١ - ص ٢١٤

ومما أسلفنا من قيمة الزمن ، اثبات أن عذاب الله كان يقع على القوم الظالمين تحت جناح الظلمة أحيانا ، وأحيانا أخرى في القيلولة ، " حين يسترخي الناس في النوم ، ويستسلمون للأمن ، وهذا حتى يكون الأخذ فيهما أهد ترويحاً وأعنف وقعاً وأنعى كذلك الى التذكير والحذر والتوقي والاحتياط " (٢) ان ذكر الزمن بذلك ، يبين سيطرة الله عليه حيثما أراد ، بالعصاة والكفار ، ويؤء كد طواعية الليل والنهار ، والأفصر والسنين لإرادته ، شأنها شأن حلقات الأحداث .

ب - الإعجاز بذكر الزمن

يأتي ذكر الزمن أحيانا في السرد القصصي القرآني ، وكأنه المقصود لذاته ، ليبين وجه الإعجاز الالهي في استعماله ، وليوضح بأن الله " ليس خاضعاً لما يخلق من أزمان مثلما نحن خاضعون ، وإنما هو فوقهما جميعاً ومتعال عليهما " (٣) من ذلك مثلاً ما جاء في قوله تعالى : " أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ

(١) - نهاية قوم لوط في سورة هود - ٨١ - وفي سورة الحجر ، ٣٠ - ٣٣ -

ونهاية قوم صالح في سورة الحجر ، ٨٠

(٢) - سيد قطب : في ظلال القرآن - م ٣ - دار الكتاب العربي - بيروت -

ط ٥ - ١٩٦٢ - ص ١١٩

(٣) - مصطفى محمود : القرآن ، محاولة لفهم عصري - دار المعارف -

القاهرة - ط ٤ - ص ١٢٠

وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا ، قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ، فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ (١) ، أَوْ مَا جَاءَ فِي قَوْلِهِ : " وَكَلِمَاتُهَا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثِينَ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا " (٢) ، فالزمن الوارد في الحادثة الأولى ، مَسَخَّرٌ مع الحادثة ذاتها للإرشاد إلى المعجزة ، وإغفاله غير وارد على الإطلاق ، لأنَّ القارئ يترقبه ليكتمل وجه الإعجاز .

وفي حادثة أهل الكهف ، نجد إثباتات تسع السنوات له أهميته ، فهو يدل على أَنَّ الله يتابع مفردات العدد ، كما يحمي مئاته .

ومثال آخر ، لما أوردنا من ذكر الزمن لتوضيح الإعجاز ، وعدم بتره من الحادثة ، ما أنبأنا الله به من الأسراء بعبيده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، والليل هنا ليل واحد ، وكان الناس يقطعون المسافة في ظرف عشرين (٣) ، إلاَّ أَنَّهُ لِمَا كَانَ الْفِعْلُ مِنَ اللَّهِ ، فَلِذَا قَانُونَ الْبَشَرَ مَلْفِي ، لِأَنَّ كَسَلَ فِعْلِهِ يُقَاسُ بِقُوَّةِ فَاعِلِهِ ، وَلِذَا فَلَا بَدَأُ أَنْ يُنْتَسَبَ الزَّمَانُ إِلَى قُوَّةِ الْفَاعِلِ ، فَإِذَا نَظَرْنَا إِلَى الْقُوَّةِ فِي الْفِعْلِ ، وَإِلَى الْمَسَافَةِ

(١) - سورة البقرة : ٢٥٩

(٢) - سورة الكهف : ٢٥

(٣) - ابن هشام : السيرة ، تهذيب عبد السلام هارون ، دار الفكر - بيروت -

ومما أسلفنا من قيمة الزمن ، اثبات أن عذاب الله كان يقع على القوم الظالمين تحت جناح الظلمة أحيانا ، وأحيانا أخرى في القيلولة ، " حين يسترخي الناس في النوم ، ويستسلمون للأمن ، وهذا حتى يكون الأخذ فيهما أهد ترويحاً وأعنف وقعاً وأنعى كذلك الى التذكير والحذر والتوقي والاحتياط " (٢) ان ذكر الزمن بذلك ، يبين سيطرة الله عليه حيثما أراد ، بالعصاة والكفار ، ويؤء كد طواعية الليل والنهار ، والأفصر والسنين لإرادته ، شأنها شأن حلقات الأحداث .

ب - الإعجاز بذكر الزمن

يأتي ذكر الزمن أحيانا في السرد القصصي القرآني ، وكأنه المقصود لذاته ، ليبين وجه الإعجاز الالهي في استعماله ، وليوضح بأن الله " ليس خاضعاً لما يخلق من أزمان مثلما نحن خاضعون ، وإنما هو فوقهما جميعاً ومتعال عليهما " (٣) من ذلك مثلاً ما جاء في قوله تعالى : " أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ

(١) - نهاية قوم لوط في سورة هود - ٨١ - وفي سورة الحجر ، ٣٠ - ٣٣ -

ونهاية قوم صالح في سورة الحجر ، ٨٠

(٢) - سيد قطب : في ظلال القرآن - م ٣ - دار الكتاب العربي - بيروت -

ط ٥ - ١٩٦٢ - ص ١١٩

(٣) - مصطفى محمود : القرآن ، محاولة لفهم عصري - دار المعارف -

القاهرة - ط ٤ - ص ١٢٠

وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا ، قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ،
فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ^(١) ، أَوْ مَا جَاءَ فِي قَوْلِهِ : " وَكَلِمَاتُهَا
فِي كُفْرِهِمْ ثَلَاثِمِائَةَ سِنِينَ وَازْدَادُوا تَيْعًا " ، فَالزَّمَنُ الْوَارِدُ فِي
الْحَادِثَةِ الْأُولَى ، مُسَخَّرٌ مَعَ الْحَادِثَةِ نَاتِمًا لِلْإِرْشَادِ إِلَى الْعَجْزَةِ
وَلِإِغْفَالِهِ غَيْرِ وَارِدٍ عَلَى الْإِطْلَاقِ ، لِأَنَّ الْقَارِئَ يَتَرَقَّبُهُ لِيَكْتَمِلَ
وَجْهَ الْعَجَازِ .

وَفِي حَادِثَةِ أَهْلِ الْكُفْرِ ، نَجْدٌ ثَبَاتٌ تَسَعُ السَّنَوَاتُ لَهُ أَمِّيَّتُهُ ،
فَهُوَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ اللَّهَ يَتَابِعُ مَفْرَدَاتِ الْعَدَدِ ، كَمَا يَحْصِي
مِثْلَاتِهِ .

وَمِثَالُ آخِرِهِ ، لَمَّا أوردْنَا مِنْ ذِكْرِ الزَّمَنِ لِتَوْضِيحِ الْعَجَازِ ، وَعَدَمِ
بِتْرِهِ مِنَ الْحَادِثَةِ ، مَا أَنْبَأَنَا اللَّهُ بِهِ مِنَ الْإِسْرَاءِ بِعَبْدِهِ لَيْلًا
مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى ، وَاللَّيْلُ هُنَا لَيْلٌ
وَاحِدٌ ، وَكَانَ النَّاسُ يَقْطَعُونَ الْمَسَافَةَ فِي ظَرْفِ عَشْرِينَ^(٢) ، إِلَّا أَنَّهُ
لَمَّا كَانَ الْفِعْلُ مِنَ اللَّهِ ، فَلِئَنَّ قَانُونَ الْبَشَرِ مَلْفِي ، لِأَنَّ كَسَلَ
فِعْلِهِ يَنْقَاسُ بِقُوَّةِ فَاعِلِهِ ، وَلِذَا فَلَا بَدَأُ أَنْ يُنْتَسَبَ الزَّمَانُ إِلَى
قُوَّةِ الْفَاعِلِ ، فَإِذَا نَظَرْنَا إِلَى الْقُوَّةِ فِي الْفِعْلِ ، وَإِلَى الْمَسَافَةِ

(١) - سُورَةُ الْبَقَرَةِ : ٢٥٩

(٢) - سُورَةُ الْكُفْرِ : ٢٥

(٣) - ابْنُ عَسَامٍ : السِّيرَةُ ، تَهْذِيبُ عَبْدِ السَّلَامِ هَارُونَ ، دَارُ الْفِكْرِ - بَيْرُوتَ -

في الزمن ، وجدنا أن الزمن يتناسب عكسيا مع القوة ، فكلما
ازدادت القوة قل الزمن ، والقوة التي فعلت في هذه العادة هي
قوة الله ، ولذا نجد النتيجة " لازمان " (١)

ولقد يستغني السرد القصصي في القرآن ، أحيانا ، عن الظروف
المدالعة على الزمن حقا ، ولكن يستعويض عنها بأعلام اقترنت
بعضور بعينها ، فحين يذكر القرآن أسماء من مثل : آدم ، ونوح ،
وهود ، وصالح ، وموسى ، ومحمد (ص) ، فإن الزمن يكتمل للسرد .

إن عمده الأسماء تحمل في ذاتها دلالة الزمن ، ويوضح بها لأسماء
أخرى ، كالتأريخ للوط بابراهيم ، " قَامَنَّ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ
إِلَى رَيْثِي، إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ، وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ . (٢)
وكالتأريخ لقارون بموسى ، " إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى "

وكالتأريخ لمريم بزكريا ، " وَكَفَلْنَا زَكْرِيَّا ، كَلَّمَا دَخَلَ
عَلَيْهَا زَكْرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا ، قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا (٣)
إن عرض هذه النماذج من الشخصيات التاريخية التي تعد معلوما

زمنيا في تاريخ البشرية ، فضلا عما تصرح به الأدوات المدالعة
على الزمن ، لهما يرد به على قول الذين يجردون القصة

(١) - محمد متولي الشعراوي : معجزة القرآن دار الكتب والوثائق القومية ١٩٨٢ ص ٢٦٩

(٢) - يرى أحد النقاد أن النص الأدبي يتجاوز التعامل مع الأدوات الزمنية التقليدية
إلى أدوات غير زمنية تقليديا فيحملها شيئا لم تخلق له ولم يخلق لها في أصل
الوضع اللغوي .

انظر : د. عبد الملك مرتاض : النص الأدبي ، من أين ؟ وإلى أين ؟ -

ديوان الطبوعات الجامعية - الجزائر - ١٩٨٣ - ص ٨٣ ٠٠٠ ٩٦

(٣) - سورة العنكبوت : ٢٦ ٠ ٢٧

(٤) - سورة القصص : ٢٦
(٥) - سورة آل عمران : ٢٧

القرآنية من الزمن والمكان^(١) وفي الوقت نفسه تشير الى
 أن الزمن في القصص القرآني مرتبط بالمعالم الشخصية للأنبياء
 والمرسلين الذين تداولوا وراثته الأرض ، من آدم عليه السلام ، الى
 محمد (ص) .

ان القصص القرآني ، اذن ، ليس مجردا من الزمن ، بل معمور به ،
 يشير اليه أحيانا بظروف الزمن ، ويرمز اليه أحيانا
 بأشخاص وأدوات حية أو معنوية^(٢)

(١) د. التهامي نقرة : سيكولوجية القصة في القرآن - الشركة التونسية
 للنشر والتوزيع - ط ١ - ١٩٧٤ - ص ٣٢٤

يرى بأن القصة القرآنية متجردة عن الزمان والمكان .

(٢) - قد يتعدى القرآن خصوصية الزمن المعروفة ، الى الزمن

المطلق ، فلا يثبتته .

٤ - المكان والسرد القصصي

يلعب المكان دورا هاما في بناء القصة وفي تركيبها؛ إذ يعد الإطار الذي تنطلق منه الأحداث، وتسير فيه الشخصيات، بل يتجاوز كونه مجرد إطار لها أحيانا، ليصبح عنصرا حيا فاعلا في هذه الأحداث وهذه الشخصيات، ومنحونا بدالات اكتسبها من خلال علاقته بالإنسان^(١).

وفي السرد القصصي يمكننا أن نرصد حالتين مختلفتين، لذكر المكان، تتمثل إحداهما: في إرفاق الأحداث بالأمكنة التي دارت فيها، وتتمثل ثانيتهما: في إخلاء الأحداث عن مكان معلوم.

١- إرفاق الأحداث بذكر المكان

مما ورد فيه ذكر للمكان، ما سرده علينا القرآن الكريم من قصة "عاد"، **إِن جَاءَ فِيهَا ذِكْرُ الْمَكَانِ ذِكْرًا صَرِيحًا**، حيث قال تعالى: **وَإِذْ كُفِرَ أَهْلَ عَادٍ إِذْ أَنْزَلْنَا قَوْمَهُمُ بِالْأَحْقَافِ^(٢)**، و**"الأحفاف الرمل السني^(٣)** يكون كميعة الجبل"^(٤)، وكانت مساكن عاد بعده "الرمال المستظيلة

(١) - د. محمد يوسف نجم: فن القصة - دار الثقافة - بيروت.

ط ٢ - ١٩٧٩ - ص ١٠٨ وما يليها

وانظر تسمير المرزوقي، وجميل شاكر - مدخل الى نظرية القصة ص ٦٤-٦٥

(٢) - سورة الأحقاف: ٢٠

(٣) - الأحقاف هو إقليم الرمال الممتدة بين حضر موت وبحر عدن - انظر:

المعودي: مروج الذهب - م ٢ - ص ٣٥٩

(٤) الطحبي: جامع البيان في تفسير القرآن - م ١١ ج ٢٦ - ص ١٦

المشرفة (١)

لقد وصف القرآن هذا المكان بالفنى وتوفر وسائل الاستقرار ، في الآيات التالية : " أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ وَتَتَّخِذُونَ مَصَائِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ، وَإِذَا بَطِشْتُمْ بَطِشْتُمْ جَبَّارِينَ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا^(٢) الَّذِينَ آمَدَكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ، أَمَدَكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ وَجَنَاتٍ وَعَيْوُنٍ " .

ان ذكر المكان هنا في هذه القصة ، وكذا ذكر خيراته ، حتمه الحدث ، لتبرير ما استؤول اليه الأمور من نتائج ، ذلك أن النعم الكثيرة التي أكرم بها الله قوم عاد بهذا المكان ، الذي تحتضنه الرمال الموحشة ، وتمدده بالتمصر ، لمدعاة للشكر والعرفان بالجميل ، للنبي تفضل عليهم بالإغداق ، دون طلب أجر أو مشوية ، ولكن القوم تمردوا على الله ، فاستوجبوا رفع النعمة ، وتسليط ريح عاتية عليهم دامت سبعة أيام ، حولت خصب المكان الى قحط وجذب ، والأحياء الى جثث مامدة ، فكانوا بذلك عبرة لمن سمع يخبرهم أو مر على مكانهم ، كما ستوضح الأحداث .

وذكر المكان هنا قد ساهم في صياغة الحدث ، وفي التمكين له ولسيره وتسليله وتبريره نتائجه .

ومن المواضع التي تعين فيها ذكر الأماكن كذلك ، قصة الإسراء ،

(١) - الطبري : جامع البيان في تفسير القرآن - م ١١ - ج ٢٦ - ص ١٦
وانظر كذلك ، دمسعد زغلول : تاريخ العرب قبل الاسلام - دار النهضة العربية -

بيروت - ص ص ١٠٢ ، ١٠٨

(٢) - سورة الشعراء : ١٢٨ ٠٠٠ ١٣٤

فان ذكر المسجد الحرام الذي انطلق منه الرسول (ص) والمسجد الأقصى الذي انتهى اليه ، هو ذكر له وجوبه ، لأن ما كان معروفا عند القريشيين وغيرهم هو أنهم كانوا يقطعون المسافة بين المكانين في شهر بأكمله ، والرسول (ص) قطعها في ليلة واحدة ، " سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى (١) " إن هذا فعل ليس في مقدور البشر في تلك الآونة التي كان النقل فيما يتم على الدابة والأرجل ، ولكن لما كان " الفعل من الله ، فيجب أن تنسب القدرة الى الفاعل ، أي الى الله سبحانه وتعالى ، والله لا تحده حدود ، ولا قيود ، ولا تنطبق عليه مقاييس البشر " (٢) ، فان ، فالذكر هنا لم يكن ذكرا عارضا ، بل هو متمم للحدث ومظهر للاعجاز الذي يبينه الله فيه ، ويرتب عليه تكاليف للعبادة ، وإشهادا لهم على ما لا يعلمون من أمر الغيب ، وامتحانا لهم كذلك ، وتعريفا بمناسكهم .

وقد نجد في بعض القصص امكنة كثيرة تقترب بها الأحاديث ، وفقا لنمو الحدث وتحول الشخصية وحركتها ، كذلك النبي نجده في قصة يوسف عليه السلام ، فلقد تعينت البداية في أرض الشام ، (٣)

(١) - سورة الاسراء : ١ -

(٢) - محمد متولي الشعراوي : معجزة القرآن - ج ٢ - دار الكتب والنوائق القومية -

ط ١٩٨٢ - ص ٢٧٠

(٣) - كان يعقوب يسكن بالعربات من أرض فلسطين من غور الشام - انظر :

ابن كثير : تفسير القرآن العظيم - م ٤ - دار الفكر - بيروت - ط ٢ -

ثم انقلبت الى مدين^(١) ، وجرت تنماتها في مصر .
 ومن الجدير بالذكر في هذا المجال ، أن نصير الى أن السرد القصصي لم
 ينقل لنا ما يشبه وحدة المكان ، مثلما لم يفعل بالزمن ، فالسرد
 القصصي القرآني ليس الفن الوضعي الذي التزم بهذا القيد وراعاه وقدمه ،
 وتجاسر بعد ذلك ثائرون وتمردوا عليه ، وتحرروا من نيره^(٢) ، وإنما
 هي القدرة الالهية التي تطلع على خفايا الأمور مما تعدد الامكنة
 وتباعدت .

وذكر أكثر من مكان في القصة للسبب نفسه الذي أسلفنا ، مما تتسم
 به قصة سليمان وملكة سبأ ، فثمة مكانان متباينان ، مقر سليمان
 بالقدس^(٣) ، ومقر ملكة سبأ باليمن^(٤) ، " وبينها وبين بيت المقدس مسيرة
 شهرين " ^(٥)

ان الفسحة المكانية هنا مهمة لرواية حادثة تاريخية عظيمة لا تقتصر
 على يوم واحد ، وان تدخل فيها من عنده علم من الكتاب ، لكن فسحة

(١) - مدين : أرض تمتد بين خليج العقبة الى مؤاب وأرض سيناء * - انظر :

د . محمد بيومي مهران - دراسات تاريخية من القرآن الكريم - مطابع جامعة
 الامام محمد بن سعود الاسلامية - ١٩٨٠ - ص ٢٩٧

(٢) - فكتور هيجو : مقدمة كرومويل - نقلا عن الدكتور ، علي جواد طاهر -

مقدمة في النقد الأدبي - الموسوعة العربية للدراسات والنشر - بيروت -
 ط ١ - ١٩٧٩ - ص ٢٠٦

(٣) - الصاوي : حاشية العلامة الصاوي علي تفسير الجلالين - م ٣ - ص ١٩٦

(٤) - سبأ : أرض باليمن ، مدينتها مأرب ، وبينها وبين صنعاء * مسيرة ثلاثة أيام ،

ياقوت الحموي : معجم البلدان - م ٣ - دار بيروت للطباعة والنشر -
 ط ١ - ١٩٥٢ - ص ١٨١

(٥) - الصاوي : الحاشية - م ٣ - ص ١٩٦

المكانين أتاحت لنا أن نتصور عرض سليمان على ملكة سبأ الاسلام ، ثم
الإتيان بعرشها بالصورة الخارقة التي أتممتها عند الحضور ، ثم
اسلامها آخر الأمر .

إنَّ تعيين الأماكن وتسميتها بأسمائها يوقعا موقعا من التصور ، وقد
يحلها محل الامتحان ثم التصديق ، إذ أن بعضا منها كان لا يزال قائما
عند نزول القرآن بمثل هذه القصص ، ألم يُنَبِّئَنَا الْقُرْآنَ إِلَىٰ أَنْ مَسَاكِنَ
الْكَافِرِينَ مَا زَالَتْ بَيْنَنَا ، وَأَنَا نَسْكُنُ مَسَاكِنَهُمْ " وَكَانْتُمْ فِي مَسَاكِنِ
الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ، وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ
الْأَمْثَالَ " .

وانه من العسير أن نتصور القرآن غير مثبتاً لمكان جرت فيها بعض
قصصه ، حين يكون ذكر هذه الأماكن معاً ومساعداً العقل البشري
على التمثيل ، سيما وأن الأحداث التاريخية العظيمة التي تميز القصص
القرآني قد جاءت الإرادة الالهية أن تسترسل في أماكن متفاوتة ، هي
أماكن اشتغال الأحداث الحقيقية ووجودها ، فنذكر الأماكن هذه ،
فضلا عن أنه يبرز الصورة كاملة ، فانه كذلك يجعلنا نحس أننا طرف
في القصة ، بما أن المكان قد يكون مكاننا كذلك .

ب - إخلاء الأحداث من المكان .

ان السرد في بعض القصص القرآني لم يورد المكان ، ولم يجر له ذكرا ، لأنه ليس هناك ما يدعو الى ذلك ، فقد تكون ماتحمله القصص هذه فِكْرًا عامة ، مما يَجْمَلُ معها التجريد لالقاء درس في الكون الفسيح الرحب الذي هو جِماع الأمكنة .

اننا مثلا لانجد المكان واضحا في قصة الرجلين الذي جعله الله لأحدهما جنتين ، وأراد للآخر أن يكون فقيرا^(١) ، فتاه أغناهما بنما يملك على أفقرهما ، فأرسل الله على الجنتين حسباناً من السماء . فالعبرة تنجر على كل مكان فيه غني متكبر ، وغني معدوم ، وتنطبق على كك " من أقبل على الله وترك زينة الدنيا ، ومن اغتر بالدنيا وترك الاقبال على الله " ^(٢) .

ان هذه العبرة العامة هي التي حالت دون ارساء مكانها للقصة ، ومنحتها تأشيرة الانتماء للكون الفسيح .

وقد ضرب الله هذا المثل بعد ذكره لحادثة عزوف المشركين وتكبرهم عن مجالسة الفقراء^(٣) والمساكين من المسلمين ، وافتخارهم عليهم بحسبهم ونسبهم ، فكان بذلك موعظة حسنة تطرق رأس كل متكبر وتزجره على هذه الأفعال .

(١) - انظر القصة في سورة الكهف ، من الآية ٢٢ الى الآية ٤٣

(٢) - الصافي : الحاشية م ٣ - ص ١٣

(٣) - ابن كثير : تفسير القرآن العظيم - م ٤ - ص ٢٨٦

ومن القصص التي عدل فيها السرد عن ذكر المكان ، قصة الرجل الذي
 مر على قرية وهي خاوية على عروشها ، فتساءل ، كيف يحييها الله بعد
 موتها ؟ فأراه الله تجربة حية في نفسه وفي حماره ، سجلها الله
 في قوله تعالى دون تسمية المكان ، أو تسمية الشخصية ، " أَوْ كَالَّذِي مَرَّ
 عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا ، قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ،
 فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ... " (١) .

ان الحكمة جليلة من عدم اثبات المكان الذي كان سيعقد نافذة لو ذكر ،
 لأن الأحداث ليست بحاجة ملحة له لتتحول معه ، إذ لن يشتر كمنعه في
 الحدث شخص آخر لهم مواقع أخرى ، ستلعب دورا مميزا بخصائصها ،
 كما لاحظنا في الأحقاف مثلا ، التي لعبت خصائصها الدور الأوفى ، إذ أن
 أصحابها لم يحمداوا الله على النعم ، فأناقم العذاب .

ومثل ما ذكرناه أيضا عن تنكير المكان ، ماجاء في قوله تعالى :

" وَأَشْرَبَ لَئِمًّا مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ ، إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ، إِذْ أَرْسَلْنَا
 إِلَيْكُمْ آتِنِينَ فَكَذَّبُوهُمْ فَأَعَزَّزْنَا بِبَنَائِكُمْ فَمَا كَانُوا يَتَّقُونَ ... " (٢)

ان أحداث القصة هنا منقطة للتأمل النظري ، ولمتابعة تحليل أحوال
 بعينها في النفس البشرية العامة ، ولذا فلم يسجل للمكان فيما ذكر .
 وما يمكن أن نسجله على هذا اللون من الأحداث الخالية من ذكر المكان ،
 هو أن وطأها شديد على المتلقي ، فهي تستفز النفوس إلى سنن الله العامة
 في خلقه التي لم يشر لها بمكان أو زمن ، وتشد أغوار الناس ومخيلاتهم
 للمتلقى الكامل .

(١) - انظر القصة في سورة البقرة ، الآية : ٢٥٩

(٢) - انظر القصة في سورة يس : من الآية ٧٨ إلى الآية ٨٣

تقويم الفصل الأول

ان الحدث في السرد القصصي في القرآن يتشكل بنسبة كبيرة من صورتين مختلفتين، وان كانتا على شيء كبير من التماثل والتماثل، من حيث طبيعة الصورتين .

١ - صورة تتألف من حدث مألوف قد يجري به العرف والعادة ، يو* وك الى آخر يكسر السنن وينأى عن الألفة ، ويخرق الناموس ، وقد يكون هذا اللون الآخر نتيجة للأول ونهاية له ، ويسوق الخالق سبحانه وتعالى من الموعدة والوعيد والانبأ* فيهما، ما يجعله بصائر للناس ودساتير تنوير وهداية ، وسجلا حافلا بحياة الأولين والأمم التي خلت ، ويزيح الستائر عن صحائف منسية لم يكن للأمة عهد بها ، لولا أن أعلمهم بها الله حين نزلها على قلب نبيه .

ان الحدث عندما يكون غير مألوف ، تترتب عليه فعالية تختلف تماما عن المألوف ، ويكون له وقع في النفس مميز عما للمألوف ، على أن كلا منهما يشد أزر الآخر ويسانده ، ليكونا الحدث العام .

ب - وثانية تتشكل من لون تتولى زمامه روء* يا تنبوء* ية ، ترسم معالم المستقبل لشيء سوف يكون ، فتشمس الأمور في هذه المنطقة المجهولة بين التنبوء* والحدوث ، تستنطق أعماق الانسان بالترقب ، حتوا اذا انكشف الستر عما يحقق الروء* يا ويكون مصداقا لها، ختم الحدث .

ان هذا الأسلوب المعجز المغيّب الذي ساق به القرآن الأحداث، من رؤيا، ثم أحداث، ثم تحقق الرؤيا، قد أسفرت فعاليتها بصورة أكيدة في صنع الحدث، وفي تعيين معالم سيره ومرساة الأخير، وبهذه الفعالية التنبؤية المؤكدة تحقيقها، يوضع خط بالقلم الأحمر تحت قول الذين ينكرون رؤيا النبوة .

ولقد ارتبط الحدث بالزمن والمكان اللذين كانا إطاراً ومسرحاً لوقائع حيات الأمم والأشخاص التي عرّضها القرآن في صور من أساليب السرد القصصي، وان كان قد أغفل في بعضها ذكر هذين العنصرين، للسماح للعبارة من الحدث في الانسحاب على كل زمان ومكان يوجد به انسان .

ان للزمان والمكان المجهولين درامية تختلف عن المعروفين، ولهما وقع أكيد يعتمد على الارسال والبث القرآني، فتلك الأنباء التي ترد الى الناس غير معلومة المكان والزمان تشدأغوارهم للتلقي الكامل، ولكنه يكون (١) كما لا من منطلق معلوم لديهم سيقفوا عنصر الغيب الذي اعتمد كموقف لمتاعهم للتأمل والتدبر، بحيث نبههم الى أماكن بين ظهرانيمهم يمكن لهم أن يروها .

(١) - ان القيمة الاخبارية لجزء ما، تتناسب عكسيا مع مدى توقع السامع له، فكلما كان توقع السامع له كبيرا كانت شحنته الاخبارية ضعيفة .
انظر:

الفصل الثاني

- الشخصية وأسلوب السرد القصصي
في القرآن

- تمهيد

- ١ - البعد الجسدي للشخصية
- ٢ - البعد الاجتماعي للشخصية
- ٣ - البعد النفسي للشخصية
- ٤ - شخصيات معاونة
- ٥ - تقويم الفصل

تمهيد :

لم يغمط السرد القصصي في القرآن الشخصية ما تستحق من اهتمام ،
 بل صورها أحسن تصوير ، وأعطاهما قوامها الذي كانت تدب به بين
 الناس ، بطريقة تخول لنا أن نتابعها بدقة ، وأن نميز بين
 أنماط الخبيث من الطيب ، ومن هو أهل للقذوة ومن هو
 حقيق بالتجنب .

وشخصيات القصص القرآني من الكائنات التي كان لها وجود معروف ،
 ولم تكن هذه الشخصيات من عالم الخيال ، كما يقول أحد الدارسين :
 " وهنأ أحب أن أصرح بأنني لا أقصد إلى القول بأن كل الممواد

(١) - لم يرد مصطلح " الشخصية " في القرآن الكريم ، وإنما ورد بلفظ المرء
 الذي هو بمعنى : الرجل والانسان ، بل لم ترد مادة : " شخ ص " إلا في
 تشكيلتين اثنتين في القرآن كله ، ١ - " تشخص " في قوله تعالى : " إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ
 لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ " سورة ابراهيم : ٤٢ ، وفي قوله أيضا " وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ
 الْحَقُّ فَلِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارَ الَّذِينَ كَفَرُوا " سورة الأنبياء : ٩٧ ،

انظر : محمد فؤاد عبد الباقي : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم -
 دار الحديث - القاهرة - ط ١ - ١٩٨٧ - ص ٤٧٧

وفي النقد : ورد المصطلح بمعنى الفاعل الذي يقوم بالفعل ، ويكون مدار المعاني
 الانسانية ، ومحور الافكار والآراء العامة .

انظر : د. محمد غنيمي هلال : النقد الأدبي الحديث - دار نهضة مصر للطبع والنشر
 الفجالة - القاهرة - ص ٥٢٦

وانظر : د. أحمد كمال زكي - دراسات في النقد الأدبي - دار الأندلس - ط ٢ - ١٩٨٠ ص ٤٢

القصصية في القصر التمثيلية وليدة الخيال" (١).

إن القرآن أكد أكثر من مرة على أن ما جاء في قصصه حق لا مزيغ فيه ولا شبهة، إذ قال: "الْقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ، مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى" (٢)، وقال أيضا: "نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ" (٣)، كما أن ذكر الشخصيات بأسمائها، أحيانا، دليلك على حدوثها في الواقع.

ومن الشخصيات التي ذكرت بأسمائها: أنبياء الله، نوح، وإبراهيم وموسى، وعيسى، وداوود، وسليمان، ومحمد (ص) وغيرهم، بل إن ذكر أعداء لهذه الشخصيات، وكذا معاصرين لها، ليعا يدعم هذا الحدوث. فمن الأعداء: مثلا: فرعون، وهامان، وجالوت، وملوكه سبأ قبل أن تسلم، هذا فضلا عن تكرار أسماء هذه الشخصيات وأفعالها، في صور متعددة.

وذكر الأماكن التي جرت فيها أفعال هذه الشخصيات، والتي ما زال بعضها قائما، يعد دليلا ماديا على حدوثها في عالم الواقع، "ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقَّصْنَاهُ عَلَيْكَ، مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ" (٤).

(١) د. محمد أحمد خلف الله: الفن القصصي في القرآن - مطبعة

الانجلو المصرية - القاهرة - ط ٣ - ١٩٦٥ - ص ١٥٨ وما يليها

(٢) - سورة يوسف: ١١١ • (٣) - سورة الكهف: ١٣ • (٤) سورة هود: ١٠٠

ويجب أن يلاحظ في هذا المضمار ، " أن عجز علم التاريخ عن المعرفة أو الاستدلال ، ليس معناه عدم صحة ما جاء في القرآن" (١)
 فعلم التاريخ محكوم بعالم الظاهر وحده ، دون عالم عريض قائم هو عالم الغيب .

وسنسى في هذا الفصل ، ان شاء الله ، للوقوف على أبعاد الشخصيات التي أسهمت في صيرورة الحدث وفي توجيهه ، سواء كانت هذه الشخصيات بشرية أم غير بشرية .

وطبقاً لهذا ، فستكون المحاور الأساسية التي نقف عندها كالتالي :

- ١ - البعد الجسدي للشخصية .
- ٢ - البعد الاجتماعي للشخصية .
- ٣ - البعد النفسي للشخصية .
- ٤ - شخصيات معاوننة .

(١) - محمد الغزالي : نظرات في القرآن - ص ١١٨

١ - البعد الجسدي للشخصية

لقد اتسم رسم الشخصيات في السرد القصصي القرآني في كثير من الأحيان بتحديد أبعادها الجسمية ، حتى تكون حركتها ماثلة للعيان غير مجردة ، ولتكون متفقة في ذلك مع قدرات العقل البشري وحواس البشر ، التي تتعاون جميعاً لتحويل ما نقرأ إلى صور ذهنية .

ومن الشخصيات التي يمكن أن نستشف أبعادها الجسمية مكودة السرد القصصي في القرآن ، ومهمة فيه ، شخصية سيدنا يوسف ، وشخصية سيدنا موسى ، وشخصية فرعون .

١ - شخصية يوسف

ألمح لنا السرد القصصي بسماط جديدة خاصة بشخصية يوسف عليه السلام ، كان لها دور أساسي في إضافة صورته لنا ، وإكساب أحداث قصته واقعية ونفوذاً وتعقلاً ، ابتداءً من طفولته ، بطلب إخوته من بعضهم العمل على إخلاء وجه أبيهم منه ، بعد ما تأكد لديهم هيمنتته على محبة أبيهم ،^(١)

(١) - يقال بأن يوسف وأخاه " بنيامين " كانا أخوين لباقي الاخوة من

الأب فقط ، وقد ماتت أمهما وهما لم يشبأ بعد .

انظر ، النيسابوري : غرائب القرآن و رغائب الفرقان ، المطبوع على

ها مشر الجامع : للطبري - م ٧ - ج ١٢ - ص ١٠٣ .

وانظر ، عبد الوهاب النجار : قصص الأنبياء - دار الفكر - بيروت - ص ١٢٠

" إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنَ آوْنِ عَصْبَةٍ ، إِنَّ أَبَانَا
 لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ، أَفْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ نَبِّئُوهُ أَرْضًا يَخُلُ لَكُمْ وَجْهٌ أَبِيكُمْ
 وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ " (١)

لقد كانت هيمنة يوسف على محبة أبيه، لجاذبية أكيدة فيه ، تتأكد
 تفرد بهما بعد ذلك في الفعل المحوري في القصة ، وهو مرادة
 امرأة العزيز له ، " وَرَأَوْدَتَهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ
 وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْبَنِيكَ " (٢)

ومما يؤثر ، أنه قيد " قِيمَ الحُسْنِ نصفين ، فقيّم ليوسف وأمه
 النصف ، والنصف لسائر الناس " (٣) . وتتأكد هذه السمات أيضا من
 خلال أقوال النساء في المدينة عن امرأة العزيز : " تَرَاوِدُ فَتَاهَا
 عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا " (٤) ومصادقة المعنية على كلام من بعد
 أن رأينه وَقَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِكْبَارًا ، تقول : " فَذَلِكَ الَّذِي لَمْتُنِّي
 فِيهِ " (٥) ، وكذا حكم النسوة عليه بأنه " مَلَكٌ كَرِيمٌ " (٦) ، لاعتقادهن
 بأنه " لاشي * أحسن من المَلَكِ " (٧)

(١) - سورة يوسف : ٨ ، ٩

(٢) - سورة يوسف : ٢٣

(٣) - الطبري : جامع البيان في تفسير القرآن - م ٧ - ج ١٢ - ص ١٣٣

(٤) - سورة يوسف : ٣٠

(٥) - سورة يوسف : ٢٢

(٦) - سورة يوسف : ٣١

(٧) - الصاوي : حاشية الصاوي على تفسير الجلالين - م ٣ - ص ٢٤٢

وهكذا تتأكد فتوة يوسف وغبارة شبابه ، وحسنه وجماله ، مما
 كان حيلة المراودة ، ومما جعل امرأة العزيز تجزم لنسوة المدينة
 بأن تسجنه وتمينه اذا لم يطاوعها ، " وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ
 لَيَسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ " (١)

ان الصورة الجديدة هنا ليست مجرد هيكل لشخصية يوسف ، بل
 هي الصورة التي استصحبنا معها منذ اللقاء يوسف في الجب ، إلى
 استقراره بببيت العزيز ، ومراودة امرأة العزيز له ، إلى دخوله
 السجن ، وكذا خروجه منه ، وتولية خزائن مصر ، إلى رفعه أبويه على العرش .

بـ شخصية "موسى"

إذا كان السرد في قصة يوسف قد رسم هذه الصورة له عليه السلام
 حتى تكون مساعدة للمتلقي لتصور ملامحه ، فاننا نجد يرسم
 لموسى عليه السلام ، صورة خاصة ذات صلة وثقى بالمهمة العمياء
 لها هو أيضا ؛ فلقد رسم السرد لموسى صورة جديدة دللتنا
 على ملامحه من خلاله أفعاله حيناً ، ومن خلال أقوال المخوض الذين
 أسمموا معه في الفعل أحياناً أخرى .

(١) - سورة يوسف : ٢٢

وتم هذا التدليل بوسائل ثلاث :

أولا : الاطلاع المباشر من القرآن الكريم ، من خلال سرده لصفات موسى ، حيث عرفنا بأنه بلغ حدا من الاستواء والنضج ، إذ " كُفِّلَ جَسَدَهُ وتم طوله وعرضه وخرج عن جملة الأحداث" ^(١) ، فصار بذلك أهلا لتلقي الحكمة والعلم ، قال تعالى : " وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا " ^(٢) .

ان عرض هذه الصورة لموسى كان له دور تحضيري لِمَاسِينَاط به من أحداث ، تلعب فيما قوته البدنية دورا أساسيا .

ثانيا : الإنباء عن البعد الجسدي عن طريق الفعل الذي زاو له موسى ضد القبطي ، حين استغاث الاسرائيلي بموسى ، " فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَّ عَلَيْهِ " ^(٣) . ان معالجة موسى عدوه بوكزة واحدة في صدره زهقت لهاروجه ، تعد دليلا واضحا على ما يتمتع به موسى من قوة جسدية هائلة ، وفي الوقت نفسه تعد تأكيدا لما صرح به السارد سابقا ، مما يجعل العتقي لا يدمر لنتيجة المشاجرة مع القبطي ، ولا يصدم بها ، لأنه كان

(١) - الخطيب الاسكافي : درة التنزيل وغرة التأويل - دار الآفاق الجديدة -

بيروت - ط ٤ - ١٩٨١ - ص ٢٤٠

(٢) - سورة القصص : ١٤

(٣) - سورة القصص : ١٥

(٤) الوكز : الضرب على الصدر والجنب .

انظر : السيوطي : المزهر - ج ١ - ضبط وتصحيح وتعليق : محمد احمد جاد المولى ، علي محمد البجاوي ، محمد ابو الفضل ابراهيم - دار احيا * الكتب العربية - ص ٥٥

مهما لما نهيا من قبل .

ومكذا يكون السرد قد اتبع منها منطقيا في العرض، به يضيح

كل لبنة للتي تليها .

ثالثا - الاخبار عن صورة موسى الجسدية بواسطة ابنة شعيب، عندما

عادت مع أختها ، بعد ما سقى لهما موسى غنمهما ؛ إذ طلبت

من أبيهما أن يستأجره لأنه قوي وأمين ، يعوض ضعفهم بقوته^(١)،

فقال : " يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ ، إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ " ^(٢) .

فلقد كانت القوة الجسدية ، فضلا عن أمانته هي الوسيلة التي

أهلته للاستئجار .

ويمكننا القول أيضا بأن الصورة الجسدية التي رسمها السرد لموسى

هي التي أعطته مسوغات الشخصية المحورية لازاء فرعون، والملا

من قوم موسى وفرعون معا ، فكانت هذه السمات الجسدية

البينة عونا للتصور البشري في تعقل سير موسى إلى أعتى شخصية

(١) - قال أبو اسحاق عن أبي عبيدة عن عبد الله بن مسعود، أنه قال :

أفرس الناس ثلاثة : عزيز مصر حين قال لامرأته : " أَكْرِمِي مَثْوَاهُ ... " ،

والمرأة التي قالت لأبيها : " يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ ... " ، وأبو بكر الصديق حين

استخلف عمر بين الخطاب رضي الله عنهما .

انظر : الطبري : جامع البيان في تفسير القرآن - م ٧ - ج ١٢ - ص ١٠٤

وانظر : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم - م ٤ - ص ١٧

(٢) - سورة القصص : ٢٦

في ذلك الزمان ، لانو من إلابالقوة ، ولا تخضع إلاب لمنطقها ، وكانت
 مسوغاً لنا لتفهم قيادته شعباً معقد النفس ، " صلب المراسم ،
 عاش في ظل القمر والجبروت ، وطبعت نفوس أفرادها على التلكنو
 في الطاعة ، والمراوغة في المعاملة " (١) ، فامتلات نفوس أفرادها بالحين
 والذل والحقد والقسوة ، ووطنوا على الخنوع للقوة القاهرة ،
 والانقياد للزعيم القوي الذي يهابونه ويخشون بأسه .

ولقد ظهرت فاعلية هذا البعد الجسدي لموسى ، في حادثة آل سمرقون
 التي اجترحها بنو اسرائيل عندما عبدوا العجل في غياب موسى
 في الميقات ، ذلك أنه لما عاد إلى قومه بألواح ، وكان قد أخبره
 الله برده قومه من بعده ، في قوله : " إِنَّا قَد فَتَنَّا قَوْمَكَ مِن بَعْدِكَ
 وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ " (٢) ، حاول معاوية أخيه هارون ، ظناً منه بأنه لم
 يمنعهم عن هذا الفعل الشنيع ، الا أن هارون أخبره بأن القوم لما
 أنسوا منه ضعفاً أهانوه واحتقروه ولم يمثلوا لرأيه وتوجيهه ،
 رغم بيانه وقوة حجته ، " وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا ،

(١) - سيد قطب : في ظلال القرآن - م ٣ - ص ١١٥٠ - دار الشروق -

(٢) - انظر : الاهرام الدولي : العدد - ٣٧١٨٧ - القاهرة - المؤرخ ب : ١ أكتوبر ١٩٨٠ ط ٩ -

١٩٨٨ - ص ٤ - في مقال بعنوان : صورة من طابا - ماجا فيه : بأن

الاسرائيليين أقاموا على شط البحر نموذجاً لعجل على صورة عجل أجدادهم

وجعلوه مزاراً دينياً .

(٣) - سورة طه : ٨٥

قَالَ يَسْمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي ، أَعَجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَالْقَى الْأَسْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ
 أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ ، قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي ، فَلَا
 تُفْسِدْ بِي الْاَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ^(١) .

لان القوم استضعفوا هارون عليه السلام ، ولم يطيعوا أو امره ، لأنهم ما
 اعتادوا أن ينقادوا إلا لمنطق القوة المادية ، " وكان موسى صلوات
 الله عليه ، رجلا حديدا مجبولا على الحدة والخشونة والتصلب في كل
 شيء " ، شديد الغضب لله ولقد بينه ^(٢) .

وهكذا يمكننا القول ، بأن السمات التي اتسم بها موسى ، عليه السلام ،
 كانت هي لاحدى أسباب نجاحه وسيطرته على نفوس هؤلاء القوم .

ج - شخصية فرعون

لان السرد القصي الذي خط لنا صورة جسدية لنبي الله موسى ، ما كان
 ليترك بَدَنَ فرعون دون أن يوحي برسم له ، أو مساعدة للفهم على تكوين
 خطوط عامة تمثله . وكل الآيات التي تصف فرعون تدل على أنه كان عاليا
 بجنود ، وكفره ، وكان طاغيا بتكبره ، وأن له خصائص البشر الجسدية ،
 والمعاينة المباشرة لجنه فرعون موسى ، أ ولجنه الفراعسين من عمده ،

(١) - سورة الأعراف : ١٥٠

(٢) : الزمخشري : الكشاف - م ٣ - ص ٨٤

(١) المحفوظة شبه سليمة في المتحف المصري ، تدل على أن أجساد الفراعين لم تكن تختلف عن أوساط أجسادنا الآن ، طولاً وعرضاً وسمتاً ، على نقيض ما يتخيل البعض ، من أنهم كانت لهم أجساد العمالق ، بل إن البعض يشير إلى شخص فرعون موسى ، على أنه لقب الوليد بن صعب ملك مصر ، وعلى أن الفرعون هو الدهاء والمكر (٢)

ان السرد في القصص القرآني لَسَخِيٌّ بذكر البعد الجسدي للخصيات ، فثم أكثر من مثال آخر ، كذلك الذي جاء في قوله تعالى على لسان زوج ابراهيم : " يَا رَبِّ لَتَنِيَّ أَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَبِيحًا ، وَإِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ " (٤) ، أو ماجاء في وصف طالوت : " قَالَ إِنَّ اللَّهَ امْطَفَأَ عَلَيْكُمْ وَرَآدَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ " (٥) ، أو ماجاء في تعريف أهل الكهف : " إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى (١) ، أو ما نطق به زكريا : " رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ

(١) - وقف الباحث على موميات الفراعين المحنطة بالمتحف المصري شخصياً وعابنها .

(٢) - د. سعد زغلول عبد الحميد : في تاريخ العرب قبل الاسلام - دار النهضة العربية - بيروت - ١٩٧٦ - ص ١٠٤ - يقول : والرواة مختلفون في أمر فرعون موسى ، والغالب أنه من العمالق .

(٣) - الرازي : مختار الصحاح مكتبة لبنان - ص ٢٠٩

(٤) - سورة هود : ٧٢

(٥) - سورة البقرة : ٢٤٧

(٦) - سورة الكهف : ١٣

شَيْبًا ، وَلَمْ أَكُنْ بِدَعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ^(١) ، الى غير ذلك من الأقوال والأفعال
التي تصرح أو تلمح الى صورة جسدية أوصفت من صفات الشخصيات
القصصية في القرآن .

ان السرد القصصي في القرآن لا يرسل الأوصاف أو السمات الجسدية
للشخصيات فضلة ، وإنما يجعلها تدخل في تصميم الحدث
وفي تصويره ، وتكون كمفصل متحرك من مفاصل الحركة العامة
لنمو الفكرة .

البعد الجسدي للجماعة

يتجه الرسم الجسدي في السرد القصصي القرآني لجماعة بأكملها ، عند ما تكون هي المنوطة بفعل ، وليس الفرد الواحد منها ، مثل ما نجد في قصة عاد ، حيث يوضح لنا السارد الملامح الجسدية الجماعية لعاد قوم هود ، والغاية التي من أجلها وظف هذه الملامح الجسدية . (١)

لقد كانت القوة الجسدية لهذه الجماعة هي العنصر الفاعل في أحداث القصة ، والخصيصة المحورية التي تتجاذب أطرافها ، وتمسك بتلابيب خصائصها ، وتنشي العلاقات بينها ، وكانت هي القيمة المسيطرة في القصة ، والعامل المشترك بين الشخصيات ، وهي القصة التي قصمت ظهر البعير ، وقادت الأحداث الى نهاية أليمة سجلها لنا القرآن في قوله تعالى : " فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ، وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ، فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا مَرْمَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنَدِيقَهُمْ عَذَابَ الْخَزْزِيِّ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَلِعَذَابِ الْآخِرَةِ أَكْثَرُ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ " . (٢)

(١) - ينسب الي عاد شعر يصف فيه صورته الجسدية ، ويذكر نسه ، يقول فيه :
 اني أنا عاد الطويل البادي وسامٌ جدي يابن نوح العادي .
 وهو من العرجز .

انظر : المسعودي : مروج الذهب - م ١ - ص ٤٤٥

(٢) - سورة فصلت : ١٥ ، ١٦

٢ - البعد الاجتماعي للشخصية

يضي* البعد الاجتماعي كثيرا من الشخصيات التي دار حولها السرد القصصي القرآني ، كشخصية يوسف ، أو موسى على سبيل المثال ، وغيرها ممن ورد له ذكر في قصص القرآن .

١ - شخصية يوسف .
XXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXX

ان شخصية يوسف عليه السلام ، بعد القائه في الحب ، هي شخصية موكلة لرؤيا من عند الله ، وهي ضحية حسد وغيرة ، وهي مبيعة حينما بواسطة سيارة التقطوه ، وباعوه " بِتَمَنِّينَ بَخْسٍ تَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ (١) . على أن قلة ثمنه الماسي هذه ، تظل ترافقنا طيلة وجوده مع المستري ، وتحت امره زوجه ، فهو فتاهما الذي اشترته بدراهمها ، واعتقدت أنه ملك يمينها ، بما لا يقاس به بعثاده الى ثرائها وإرادتها ، وما ملكت يمينها من مال وجاه ونفوذ ، وبما وشت به بعد ذلك حياة الموى والفراع والشائعات واللغو والمآذب . ويوضح البون الاجتماعي بعد ذلك أيضا تنظيم الخرائن ، الذي رأينا ، نتيجة حكمة يوسف ، يجتذب بالقوافل من فلسطين ، وفيها اخوة يوسف أنفسهم ، وقد جاؤ واليهمتاروا .

والحياة الاجتماعية الفقيرة التي تخص موسى تتضح جلية كذلك ، من قبوله أن يستأجر ثمانى حجج ، أو عشر حجج ، لقاء أن ينكح ابنة شعيب ، كما كانت في أوضح صورها وموسى يتلمس وجه مدين ، داعياً ربهم
 "رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ" (١) ، بما يتضح به البون الشاسع بين مادة فرعون وأمواله ، وكفاف موسى وفقره وقلة ذات يده الا بالله ، فموسى " ضعيف لقلة ماله ، وأنه ليس له الملك والسلطان " (٢) على أن البعد الاجتماعي لموسى لا يتجلى بصورة أوضح ، الا بمقارنته مع فرعون الذي كانت له معه مواقف عدة ، ظهرت من خلالهما أخص ملامح النعرات الطبقية في فرعون ، ومنها صفة التكبر والاعتزاز به والفرور بالثروات الطائلة ؛ ذلك أنه لما دعاه موسى الى عبادة الله أبدى عجباً ودهشة " مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ " (٣) كيف يتجرأ ويدعوه الى عبادة من لا يعرف ، وهو الذي تجري من تحته الأنهار ، ثم راح يثير سخيمة من حوله ، ويبعث فيهم الدهشة من هذا الفعل الجريء الذي أقدم عليه موسى ، ويقوم موازنة بينه وبين موسى في الجاه والثراء ، فتساءل : " يَا قَوْمِ "

(١) - سورة القصص : ٢٤

(٢) - الطبري : جامع البيان في تفسير القرآن - م ١١ - ج ٢٥ - ص ٤٩

(٣) - سورة الزخرف : ٥٢

(١)
 "وكان طالوت دباغا يعمل الأدم" ، يقول تعالى في هذا المضمون :
 " وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ، قَالُوا أَنَسَى
 يُكُونُ لَهُ أَلْمَلِكُ عَلَيْنَا ، وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمَلِكِ مِنْهُ وَلَمْ يُوْتَسَعَةً مِنَ الْقَوْلِ ،
 قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ، وَاللَّهُ
 يُؤْتِي مَلَكَهُ مَن يَشَاءُ " (٢) ، أودلك الذي أطلعنا عليه السرد في قصة
 نوح قبله ، إذ قال له الملائمة قومهم : " مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا ،
 وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا أَنْ كَفُرُوا بِاللَّهِ وَكَانُوا كَافِرِينَ ،
 عَلَيْنَا مِنْ فَضْلِهِ بَلَّا نَظُنُّكَ كَافِرًا " (٣)

وكذلك ، الزمخشري : الكشاف - م ٤ - ص ٢٥٨
 (١) - المسعودي : مروج الذهب - م ١ - ص ٤٦
 وانظر : الطبري : جامع البيان في تفسير القرآن - م ٢ - ج ٢ - ص ٣٧٨
 وانظر : القرطبي : الجامع لأحكام القرآن - ج ١١ - ص ٣٢١
 (٢) - سورة البقرة : - ٢٤٢
 (٣) - سورة هود : ٢٧

٣ - البعد النفسي للشخصية

لقد زدنا سرد القصي القرآني بالعوامل النفسية المممة
في فهم الشخصية ، وفي متابعة إدارتها الصراع مع خصومها ،
مثلما وفر الأبعاد الجسمية والاجتماعية ، حتى لا يظهر الصراع وافدا
من خارج الشخصية ، أو مملى عليها من خلا فخطوطها .

إن حوارا بسيطا مرودا بين ولدي آدم على سبيل المثال ، قبل
وقوع الفعل ، يدلنا على نمطين نفسيين متفاوتين :

أحدهما عدواني حسود ذاتي ^(١) ، والآخر مطمئن محب للخير والسلام ، مع
أن النموذجين أخوان من أبوين بعينهما ، تابا إلى الله وأحسننا
الكتاب ، ^(٢) "وَأَثَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ آدَمَ بِالْحَقِّ ، إِذْ قَرَّبْنَا قُرْبَانَكَ

(١) - يتحدث علم النفس عن الحسد ، بأنه يتضمن صراعا بين " تضخم أنا " و
بين " تهديد أنا " في نفسية الحاقد ، فيحاول التخلص من بواعث هذا
التهديد .

انظر : د . عبد الحميد الهاشمي : لمحات نفسية في القرآن الكريم -

ص ١٤٢

(٢) - بهذا الفهم يمكن ضرب نظرية : " تين " القائمة على العوامل
الثلاثة : الجنس ، الوسط ، الزمن ، حيث نجد الأخوين الأولين ، أحدهما
صالحا ، والآخر طالعا .

فَتَقَبَّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا ، وَلَمْ يَتَقَبَّلْ مِنَ الْآخِرِ ، قَالَ لَا أَقْتُلَنَّكَ ، قَالَ إِنَّمَا
يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ، لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا
بِتَبَاطِئِ يَدَيْ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ، إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (١) .

ويعتدنا السرد في قصة يوسف بالعوامل النفسية المركبة عليها
شخصياتها ، قبل أن تجري وقائع المكيدة، حتى يمكننا أن نتصور
حلقاتها ، حيث يولد في نفوس اخوة يوسف حقد عليه ، مبني على
حظوته لدى أبيهم ، بناه على لطفه وصباحته بلا شك ، وهما العا ملان
اللذان سنجدهما ، عندما يفتح شبابه ويستوي عوده، السبب
في مراودة امرأة العزيز اباه ، فلقد كان يعقوب " شديد الحب ليوسف
وكان يوسف من أحسن الناس وجها ، وكان يعقوب يؤثره على أولاده ، فصدوه" (٢)
ويصرح القرآن بما أضمره الاخوة: " إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا
أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ ، إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ، اقْتُلُوا يُوسُفَ
أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهَ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ
قَوْمًا صَالِحِينَ (٣) .

إِنَّ هَذَا التصریح نَمَّ عن نفوس دموية قاتلة ، لها ذرائعها

(١) - سورة المائدة: ٢٧ ، ٢٨

(٢) - الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن - ٤م - ج ١٢ - ص ١٦

(٣) - سورة يوسف: ٩

(١)
حقاً ، من حب الاستئثار بالأب ، لكنهما تستوي في اختزان فكرة القتل
أو الاتجاه اليه ، أو على الأقل الطرح أرضاً ، وهو قريب من القتل ،
بالنسبة ليوسف المصغير .

ونفس الإخوة تتفرع فيما بعد ، قبل تنفيذ المكيدة ، حيث نجد أن
هناك من قاد انقسام الرأي إلى فكرة اللقاء في الجبه ، وعندما
انتقلت إليه الآيات مباشرة في إضراب عن القتل ، " قَالَ قَائِلٌ
مِنْهُمْ لَأَتَقْتُلُوا يُوسُفَ ، وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَاتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ
إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ " (٢)

ولم يسكت السرد القصصي عن تزويدنا بالعماد النفسي السني
سيحتضن قصة يوسف بتحولاتها المختلفة ، وتطورها ، من حيث
العوامل النفسية التي كانت تحكم المترفات ممن سيتعرض
لمكره من يوسف ، ويدار صراعه لمجاهنتهم ، حتى يكتب له النصر ،
ويشهد له بالبراءة .

(١) - يرى علماء النفس أن اخفاق الفرد في الحصول على حاجته نتيجة

وجود عوائق ميني* حالة من التوتر النفسي والتأزم ، يدفعانه إلى اتخاذ
عدة أساليب مختلفة توافقية ، أو ردود فعل متنوعة ، كأن يتخذ الفرد ، مثلاً ،
أسلوب الاعتداء والتجني على مصدر الاحباط الذي أفسد مساه .
انظر : سيجموند فرويد : معالم التحليل النفسي - ترجمة : د. محمد عثمان نجاتي
دار النهضة العربية - القاهرة - ط ٤ - ١٩٦٦ - ص ٩٤

(٢) - سورة يوسف : ١٥

ان السرد يدلنا على امرأة لديها فتى هو يوسف ، منذ أن اشتراه
العزير ، تراوده عن نفسه ، وعلى نساء يتسمن ما يدور في بيت
امرأة العزير ، ويثرثرن بما سمعن ، ثم يلين دعوة امرأة العزير
التي تقبل لمن مادية ، ثم يطل حديثهن وشروهن سراً بينهما ، حتى
يذيعه القرآن ، " وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا
عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ، إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ، فَلَمَّا سَوَّعَتْ
بِمَكْرَمِنَا ، أَرْسَلْنَا إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لِمَنْ مَكَأً وَأَتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا
وَقَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيَّ ، فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ
لِيَّ مَا هَذَا بَشَرًا ، إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ " (١)

(٢)

فهذه نفوس انبساطية كلها تتفتح للحياة والملاقات ، وفي الوقت
ذاته لاتنفلق أمام التوبة اذا فُتِحَتْ أبواب التوبة ، وظهرت بنواذرها ،
يَانَّهَا في هذه الحالة ، يمكن أن تنقلب الى نفوس انطوائية ، لكنها

(٣)

(١) - سورة يوسف : ٣٠ ، ٣١
(٢) - النفس الانبساطية : وهي النفس التي تتجه أساسا نحو الآخرين ، والعالم
الخارجي ، وتتفاعل معهم .

انظر: ريتشاردز ص ٠ لازاروس: الشخصية - ترجمة: د ٠ سيد محمد غنيم -
ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر - ١٩٨٥ - ص ٦٣
وانظر: د ٠ حلمي المليجي : علم النفس المعاصر - ص ٣٥٧

(٣) - الشخصية الانطوائية : تميل الى التأمل والانفعال بشئونها الداخلية الخاصة
وتحليل عالمها الداخلي

انظر: ريتشاردز ص لازاروس: الشخصية - ص ٦٣
وانظر: د ٠ حلمي المليجي : علم النفس المعاصر - ص ٣٥٦ ، ٣٥٧

تنطوي على حدود ، وعلى دين ، وعلى موعدة بالجنة ، " قَالَ مَا خَطْبُكَ سَنَّا نَرَا وَدَتْنَا
يُوسُفَ عَدَنَ نَفْسِهِ ، قُلْنَا حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ ، قَالَتِ امْرَأَتُ
الْعَزِيزِ ، أَلَا لَأَنْ حَصَحَصَ الْحَقُّ ، أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ،
ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ، وَمَا
أُبْرِيءُ نَفْسِي ، إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ، إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ
رَحِيمٌ " (١)

ومن الشخصيات التي تبدو ملامحها النفسية واضحة ، شخصية موسى
عليه السلام ، فان استقرأ* النصوص السردية التي تتناول الحديث عن
هذه الشخصية ، تجعلنا نطل على صفاتها النفسية .

لقد كلف الله موسى عليه السلام ، بتبليغ الرسالة بالي فرعون ، وإلا أنه
خاف من القيام بهذه المهمة بمفرده ، وطلب من الله أن يمدّه بأخيه
هارون ليكون عوناً له ، وَتَعَلَّلَ فِي ذَلِكَ بِكَوْنِهِ يَضِيقُ صَدْرَهُ وَلَا يَنْطَلِقُ
لِسَانَهُ ، " قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ
لِسَانِي ، فَأَرْسِلْ لِي هَارُونَ " (٢)

ولبعض علماء النفس في ضيق الصدر وانعقاد اللسان رأي ،

(١) - سورة يوسف : ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ .

(٢) - سورة الشعراء : ١٢ ، ١٣ .

بأن الشخص العصابي لا يستطيع أن يتدفق ، ذلك أن العصاب هو نفسه
نوع من الشلل ، أي " هو أشبه بفقدان كل الحواس ، أو كل إدارك
في الحواس ، لأنه يسبب الصمم والعمى " .^(١)

ويبدو أن الضيق الذي كان يطراً على صدر موسى ، كان بسبب
الانفعال الناتج عن الصدمة بفعل أو سلوك غير طبيعي ، فكان
عندما يصدم بنفسه ، فيصاب بنوع من العي أو الشلل اللغوي ، ولا
يستطيع التعبير عن انفعاله باللغة ، فينجم عن هذا الانفعال
توتر نفسي محبوب بانفعال الغضب ، يدفعه إلى الاستعاضة عنه
بالتعبير الفعلي ، حيث يوجه انفعاله نحو مصدر الإحباط .^(٢)

ولقد أكد السرد القصصي هذه الظاهرة قبل صدام سيدنا موسى مع
فرعون ، عندما استصرخه العبراني ، فثار موسى وانفعل ، ووجه ثورته
وانفعاله إلى القبطي ، فوكزه ، فأرداه قتيلًا ، ثم أكد السرد هذه
الظاهرة أيضاً ، بعد صدام موسى وفرعون ، عندما عاد موسى من ميقات
ربه ، فوجد قومه قد ارتدوا عما تركهم عليه ، وغضب غضباً شديداً ،
وأخذ يجر أخاء من لحيته ورأسه^(٣) ، لأنه كان خليفته عليهم في غيابه .

(١) - أناييس نن : كتابة الرواية - ترجمة : منقذ الهاشمي - الموقف الأدبي

العدد : ١١٥ - تشرين الثاني - ١٩٨٠ - ص ٢٦

(٢) - راجع - د. حلمي المليجي : علم النفس المعاصر - ص ٩٤

(٣) - سورة الاعراف : ١٥٠

ولم يمنعهم من المخالفة في نظره .

على أن موسى كان يتخذ عند الانفعال الشديد مسلماً مخالفاً للملك السابق، عندما يخاطب به ، فيتراجع مدبراً . ويبرز هذا في موقفه أمام عصاه ، حينما صارت حية تسعى ، حيث انه لما عاين ذلك " وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ، فَذَهَبَ حَتَّىٰ أَمْعَنَ ، وَرَأَىٰ أَنَّهُ قَدْ أُعْجِرَ الْعَبِيدَ ، ثُمَّ ذَكَرَ رَبَّهُ فَوَقَفَ اسْتَحْيَاءً مِنْهُ ، ثُمَّ نَادَىٰ يَا مُوسَىٰ أَنْ أَرْجِعْ هَيْثُ كُنْتُمْ ، فَرَجَعَ مُوسَىٰ وَهُوَ شَدِيدُ الْخَوْفِ " (١) يقول تعالى :
 صوراً هذا الموقف " يَا مُوسَىٰ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ وَأَلِيقْ عَمَّاكَ ، فَلَمَّا رَأَاهَا تَهَمَّتْ كَأَنَّمَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ، يَا مُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّْ الْمُرْسَلُونَ " (٢) .

وصور السرد الشعور بالخوف كذلك ، في نفس موسى عندما ألقى السحرة عصيهم يوم الزينة ، فخيّل إليه بأن حبالهم وعصيهم تسعى ، وأوجس في نفسه خيفة كما دت تفقده صوابه ، من تلك الحيات ، وذلك على ما يعرض من طباع البشر على ما تقدم (٣) ، ولكن الله تولاه بلطفه ، وأوحى إليه بأن يُلقِيْ عَصَاهُ ، وطمأنه بالنصر .

(١) - ابن كثير : تفسير القرآن العظيم - م ٤ - ص ٥٥١

(٢) - سورة النمل : ٩ ، ١٠

(٣) - القرطبي : الجامع لأحكام القرآن - ج ١١ - ص ٢٢٢

والفوز عليهم ، " قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّمَا أَنَّا بَشَرٌ مِّثْلُكَ وَإِنَّا نَكُونُ أَقْرَبَ مِنَ
 الْقَوْمِ ، قَالَ بَلْ أَتَىكَ الْخُبْرُ بِالرُّسُلِ ، فَلِذَا جِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا
 تَسْعَى ، فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى ، قُلْنَا لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِاللَّيْلِ إِذْ يَأْتِي السُّبْحَ بِالْحَمْدِ ، وَنَحْنُ
 مَا فِي يَمِينِكَ تَلَقَّاهَا مَصْنَعُوا ، إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدًا سَاحِرًا ، وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ
 حَيْثُ أَتَى " (١) .

ونتبين عوامل الطيبة والتوبة في نفس سيدنا موسى ، النبي المرسل
 الذي صنعه الله على عينه ، " وَالْقِيَّتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةٌ مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى
 عَيْنِي " ، فلقد رجع موسى باللائمة على نفسه ، والى طلب الغفران من
 الله بعد قتله القبطي ، إذ قال : " رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ، فَاغْفِرْ لِي " (٢) ،
 وقال بعد قسوته على أخيه هارون : " رَبِّ آغْفِرْ لِي وَإِخْوَتِي ، وَأَدْخِلْنَا
 فِي رَحْمَتِكَ ، وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ " (٤) .

وهكذا كان موسى نموذجا للشخصية الانسانية والنبوية معاً ،
 بما ركب فيه من صفات بشرية ، من فرح وحزن ، ولين وعنف ، وشجاعة
 وإقدام ، فيما يحسبه يرضي الله ، وسرعة الإقرار بالذنب والتوبة ،

(١) - سورة طه : من ٦٥ إلى ٦٩

(٢) - سورة طه : ٣٩

(٣) - سورة القصص : ١٦

(٤) - سورة الاعراف : ١٥١

والندم، وكذا طيبة القلب، الأمر الذي جعل بعض الأقدمين
 يصفونه "بالسدة والقسوة"، وان كنا لانتفق معهم
 (١)
 فبشيء ذلك، فنحن بازا "عدة في سبيل الله، وقسوة لنشر دينه".

٤- شخصيات معاونة

قدم لنا القرآن الكريم في سياق قصص الأنبياء والأولياء كائنات
 ثانوية معاونة، لعبت دورا في تطوير الأحداث، كان لابد من إبراز
 ملامحها، مثال منها: غراب قابيل، ونثب يوسف، وعصا موسى، وغيرها
 من نكرات أخرى تم تعريفنا بها (٢).

ان هذه الكائنات، داخل القصة، لاتحمل أهميتها الخاصة في ذاتها،
 وإنما في علاقتها مع الشخصيات المحورية، ذلك أن فاعليتها لاتنتج
 إلا بقدر ما توجد من علاقة بينها وبين الرموز الأساسية من آدميين
 والأناسي، من ذلك مثلا، أن فاعلية "غراب" قابيل ظهرت في قيامه
 بالدور التعليمي التدريبي للإنسان على بناء سائر للموتى، إذ
 قام الغراب بإرشاد قابيل إلى كيفية استحداث الجدث الذي سيواري فيه
 سواة أخيه، ويكون الغراب بذلك أول من ألمح بمواراة الجثث، وعدم

(١) - د. محمد أحمد خلف الله: الفن القصصي في القرآن - ص ٢٧٩

(٢) - للاطلاع، انظر: أحمد ميموت: قصص الحيوان في القرآن - دار الشروق القاهرة
 ط ١ - ١٩٨٣ - ص ٧، وما يليها.

وانظر: ليلي حسن سعد الدين: كلية ودمنة في الادب العربي - دار المعارف دمشق
 ص ١٥٢، وما يليها.

تركها في العراء تنتاشها ضواري الوحوش والطيور ، مما كانت تفضله
بعض الشعوب قبل الفتح الاسلامي .

ويقال ، بأن فعل الغراب كان " معجزا مثل حديث الممدد ، وحمله
الكتاب ، ورده الجواب إلى سليمان " . قال تعالى حاكيا فعل الغراب :
" فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُضَارَى سَوَاءَ أَحْسَبَهُ ،
قَالَ يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارَى سَوَاءَ أَحْسَبِي ،
فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ " (٢)

وهكذا ، ومن خلال العلاقة بين قابيل والغراب ، تبينتفاعلية هذه
الشخصية المعاونة في صيرورة الحدث .

انه كذلك من خلال العلاقة التي قامت بين ذئب يوسف الموهوم ، ووعي
يعقوب ، وذاكرة اخوة يوسف ، أخذت الأحداث صيرورتها ، ذلك أن شخصية
الذئب في قصة يوسف قد قامت بدور لا يمكن نعتة بأنه دور النكرات
القصصية أو المسرحية ، لأنه كان الحلقة الوثيقة التي أفهمت
يعقوب سرائر أبنائه ، فلم يصدقهم بعد ذلك قط ، وكذبهم ذلك
التكذيب الذي أوحته به كلمة "عشا" الظرفية ، والذي

(١) - الطبرسي : مجمع البيان في تفسير القرآن - م ٢ - ج ٦ - ص ٧٧

(٢) - سورة المائدة : ٣١

تبيين له من خلال فحمة للقميص ، بأنه " لوأكله الذئب لخرق
 (١)
 القميص " ثم إنَّ الذئب هذا الذي لم يجترح أكل يوسف قط ،
 هو الذي ظل يسيطر على عقول إخوته ، من حيث إنسه كان منفذ
 الخلاص من يوسف ، في إنبائهم أباهم بماله ، على الرغم من أنهم
 متيقنون بأنه في غيابات الجب .

ويبدو أنهم ظنوا أن مال يوسف الحقيقي كان في جوف الذئب دون
 غيابات الجب ، إذ أنهم سلكوا معه وهو في شخص الخازن ، أو معاون
 الملك ، على أنه في حكم الأحاديث والعاضي ، إلى أن فاجأهم بمعرفة
 عنهم ، فتساءلوا : " أإِنَّكَ لَأَنْتَ يَوْسُفُ ؟ " (٢) . يقول تعالى سارداً هذا
 الدور الذي ألقى على الذئب المزعوم وعلق به : " وَجَاوَزَ الْأَبَاهُمْ عَفَاءً
 يُبْكُونَ ، قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا نَهْبْنَا نَسْتَبِقُ ، وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا
 فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ ، وَمَا أَنْتَ بِمَوْمِنِنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ، وَجَاوَزَا
 عَلَى قَمِيصِهِ بِدِيمٍ كَذِبٍ ، قَالَ بَلَدَّ سَوَّلْتُ لَكُمْ أَنْفُسَكُمْ أَمْراً ، فَصَبْرٌ
 جَمِيلٌ ، وَاللَّهُ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ " (٣) .

(١) - الطبري : جامع البيان في تفسير القرآن - م ٧ - ج ١٢ - ص ٩٧

(٢) - سورة يوسف : ٩٠

(٣) - سورة يوسف : ١٦ ، ١٧ ، ١٨

ولقد أظهر الله عصا موسى على أنها فاعلة أيضا ، وفي الوقت نفسه
 مسخرة لأمره ولمشيئته ، وهي تقوم على فكرة التبدل والتغير بمرتبة
 أعلى من مراتب أفعال السحرة بعصيمهم ، والأفعال تلك هي التي كانت
 تميز ذلك العصر ، من حيث بلوغ السحر أعلى مرتبة من التقدم ، الأمر
 الذي جعل آية موسى تصدر من فرع العمارة ذاتها ، وهي ممارسة السحر
 ومما يؤشر أن " الساحر كان عندهم معناه العالم ، ولم يكن السحر
 عندهم ذمّا " ، قال تعالى: " قَالَ لَهُمْ مُوسَى الْقَوَا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ؟
 فَأَلْقَوْا حِجَابًا مِّمَّ وَعَصِيَّةً وَقَالُوا بَعِزَّةٌ فِرْعَوْنِ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ، فَأَلْقَى
 مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ " (٢)

وهكذا ومن خلال ما ذكرناه ، يتضح لنا بأن الإخبار عن هذه الخصيات
 المعاونة المختلفة الأجناس ، وبما قامت به من أفعال ، لا يمكن إغفالها
 عند ذكر الخصيات المحورية ، واستنطاق أبعادها .

.....

(١) - الطبري : جامع البيان في تفسير القرآن - م ١١ ج ٢٥ - ص ٤٨

(١) - سورة الشعراء : ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥

الفصل الثالث

السَّعَاءُ وَأَسْلُوبُ السَّرْدِ القَصَصِي فِي الْقُرْآنِ

- تمهيد
- السَّعَاءُ فِي قِصَّةِ نُوْحٍ
- السَّعَاءُ فِي قِصَّةِ يُوسُفَ
- السَّعَاءُ فِي قِصَّةِ مُوسَى
- تقويم الفصل الثالث

• الصراع والسرد القصصي في القرآن •

تمهيد
xxxxxxxxxxxx

ان الصراع قائم في الحياة ، وهو سنة استمرارها ، وهو في القصة أحد عناصرها الضرورية لدفع الحدث ، على أن الصراع له أشكال عدة :
(١)

١ - الصراع الداخلي النفسي الذي ينشب داخل نفس المرء ، ويقوم أحياناً بين فاعلين : نازع وضعي ، ونازع مصدره أساسي هو من تكوين النفس البشرية ، كالصراع بين الحب والواجب •

ب - الصراع الفكري ، وهو قريب من الصراع النفسي ، ومشتق منه ، وقد يكون مترتباً عليه ، وقد يكون شبيهاً بالجدل بين طرف متفهم لأمير
(٢)

مّا ، وآخر غير متفهم له ، وهذا اللون من الصراع يرتب للصراع

العادي مغالباً ، ويقود إليه ، ويعد سادة له وركيزة ومهاداً •

(١) - الصراع هو المظهر المعنوي للمرحلية ، ويوحى بنوع من المباراة بين

قوى متساوية تقريباً ، كما يوحي بالفعل وردود الفعل •

انظر : رونييه ويلك ، وأوستينغ وارين : نظرية الأدب - ترجمة : محيي الدين صبحي ، ومراجعة : د. حسام الخطيب - مطبعة خالد الطرابيشي

١٩٧٢ - ص ٢٨٢

(٢) - الجدل : قول يقصد به الى اقامة الحجة فيما اختلف فيه اعتقاد المتجادلين ،

ويستعمل في المذاهب والديانات وفي الحقوق والخومات والتنصل والاعتذارات • ولمزيد من الاطلاع ، انظر :

قدامة بن جعفر : نقد النثر - دار الكتب العلمية - بيروت - ١٩٨٢ - ص ١١٧

ج - الصراع المادي الذي يقود اليه كل من لوني الصراع النفسي والفكري ، وفي هذا الصراع المادي يقدم كل طرف ماله من قوة وعتاد وكيد وجلاد ، لينصر فكرته ، ويتحتم أن تكون شخصية الخير والشهير على جانب متكافي من القوة والسوا* لدفع الحدث ، وان كان النصر لا بد أن يكون في آخر المطاف معقودا للخير على الشر ، بعوامل من داخل البناء القصصي ذاته ، والقرآن الكريم يؤكّد مبدأ نصر الخير وحاملي رسالته وتابعيهم في الدنيا والآخرة .

"إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَيَوْمَ يَقُومُ
الْأَشْهَادُ" (١)

ونلاحظ أن الصراع في القصة القرآني ، في الأغلب الأعم ، يبدأ أصراعا فكرياً له غايات متشعبة ، ثم يتحول إلى صراع نفسي في نفوس الأفراد ، وقد يحبه صراع مادي أو ينتهي هو إلى هذا العنف من الصراع الحركي ، وقد يتوقف أحيانا عند لون من هذه الألوان ، أو يقتصر على لونين منها ، وذلك وفقا للغاية التي من أجلها سردت القصة ، وسنناقش ، إن شاء الله ، في هذا الفصل تلك الألوان من الصراع التي تتوافر في السرد القصصي القرآني ، وتتميز ، بقدر

كبيره ، خصائص أسلوب السرد القصصي فيه ، متحولين الى نماذج منه
 في حركة الشخصيات ذاتها ، كما تتمثل في نوح وابنه ، ويوسف وخصومه ،
 وموسى في مواجهة فرعون والملا من قومه .

١ - قصة نوح وابنه

XXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXX

يمكن أن نقدر الصراع الوجداني الذي دار بين الابن العاق وأبيه النبي ،
 على أنه ، كما سبق أن بيّنا في الفصل الاول ، صراع فكري بين كافر
 ومؤمن ، انتقل الى صراع مادي صرف ، بأن تحول الخصم الى حركة
 مادية صرفة ، وأمد لهذه الحركة المادية الصرفة ، باظهاره خطأ
 لطريق جبل يعصمه من الماء " مثل عصام القربة الذي يمدبه رأسها
 (١)
 فيمنع الماء أن يسيل منها " ، ثم اعتصم النبي الأب العيسر
 بالفلك الذي كان يبيّنه ، ووصول المقدمات الأساسية^(٢) الى ذرى ، هي
 فعل الهلاك بالطوفان للشخصية الكافرة ، والنجاة والحياة الجديدة
 لنوح ومن صحبه من رموز هذه الحياة ، " وَتَادَى نُوحٌ أَبْنَاهُ وَكَانَ

(١) - الطبري : جامع البيان في تفسير القرآن - م ٢ - ج ١٢ - ص ٢٨

(٢) - المقدمة الأساسية : هي الفكرة الأساسية التي تحملها الشخصية وتنطلق
 بها من أجل تحقيقها ، وهي التي تحركها للفعل .

انظر : لاجوس اجري : فن كتابة المسرحية - ترجمة : درينو خشبة - مكتبة

فِي مَعْرَلٍ ، يَا بَنِيَّ أَزْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ، قَالَ سَارِي إِلَى جَبَلٍ
يَعِصْمِي مِنَ الْمَاءِ ، قَالَ لَأَعَايِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ ، وَحَالَ
بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُفْرَقِينَ ، ^(١) " فهنا الصراع فكري ، قاد
إلى صراع مادي ، وانتهى إلى خاتمة خسر فيها الكافر ، وانتصر
المؤمن ، وفقاً للمقدمات الأساسية ، أي الفكرة الأولى .

ب - قصة يوسف

XXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXX

ينبغي صراع يوسف بصفة أساسية على ما سبق أن قدمه الرد القرآني
وناقشناه في المباحث السالفة ، من حيث الأماكن المحددة ، والأزمنة
المسفرة ، والأبعاد الجمية والاجتماعية والنفسية للرموز الخيرة
والخصوم على السواء ، إذ أن الصراع يبدأ من تلك الفكرة المعطاة لنا
من حيث وجود الحقد والغيرة في نفوس مستعدة للقتل ، قادرة على
تنفيذه شاردة فيه ، " أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ
وَجْهٌ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ، قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا
يُوسُفَ وَالْقَوْمَ فِي غِيبَابَاتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ " ^(٢)

(١) سورة هود: ٤٢ ، ٤٣

(٢) - سورة يوسف: ١٠٦٩

والفوز عليهم ، " قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّمَا أَن تَلْقَى وَلِئِمَّا أَنْ تَكُونَ أَوَّلَ مَنْ
 أَلْقَى ، قَالَ بَلْ أَلْقُوا ، فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا
 تَسْعَى ، فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى ، قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ، وَأَلْقِ
 مَا فِي يَمِينِكَ تَلَقَّفَ مَا صَنَعُوا ، وَإِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدَ سَاحِرٍ ، وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ
 حَيْثُ أَتَى " (١) .

ونتبين عوامل الطيبة والتوبة في نفس سيدنا موسى ، النبي المرسل
 الذي صنعه الله على عينه ، " وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى
 عَيْنِي " ، فلقد رجع موسى باللائمة على نفسه ، والى طلب الغفران من
 الله بعد قتله القبطي ، إذ قال : " رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ، فَاغْفِرْ لِي " (٢) ،
 وقال بعد قسوته على أخيه هارون : " رَبِّ آغْفِرْ لِي وَإِخْوَتِي ، وَأَدْخِلْنَا
 فِي رَحْمَتِكَ ، وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ " (٤) .

وهكذا كان موسى نموذجا للشخصية الانسانية والنبوية معا ،
 بما ركب فيه من صفات بشرية ، من فرح وحزن ، ولين وعنف ، ومجاعة
 وإقدام ، فيما يحسبه يرضي الله ، وسرعة الإقرار بالذنب والتوبة ،

(١) - سورة طه : من ٦٥ الى ٦٩

(٢) - سورة طه : ٣٩

(٣) - سورة القصص : ١٦

(٤) - سورة الاعراف : ١٥١

والقدم، وكذا طيبة القلب، الأمر الذي جعل بعض الأقدميين
 يصفونه "بالعدة والقسوة"، وان كنا لانتفق معهم
 (١)
 في ذلك، فنحن باراء عدة في سبيل الله، وقسوة لنشر دينه .

٤- شخصيات معاونة

قدم لنا القرآن الكريم في سياق قصص الأنبياء والأولياء كائنات
 ثانوية معاونة، لعبت دورا في تطوير الأحداث، كان لابد من إبراز
 ملامحها، مثالها : غراب قابيل، وذهب يوسف، وعصا موسى، وغيرها
 (٢)
 من نكرات أخرى تم تعريفنا بها .

ان هذه الكائنات، داخل القصة، لاتحمل أهميتها الخاصة في ذاتها،
 وإنما في علاقتها مع الشخصيات المحورية، ذلك أن فاعليتها لاتنتج
 إلا بقدر ما توجد من علاقة بينها وبين الرموز الأساسية من آدميين
 والبشر، من ذلك مثلا، أن فاعلية "غراب" قابيل ظهرت في قيامه
 بالدور التعليمي التدريبي للإنسان على بناء سائر للموتى، إذ
 قام الغراب بإرشاد قابيل إلى كيفية استحذات الجثث الذي سيؤري فيه
 سواة أخيه، ويكون الغراب بذلك أول من ألمح بمواراة الجثث، وعدم

(١) - د. محمد أحمد خليف الله : الفن القصصي في القرآن - ص ٢٧٩

(٢) - للاطلاع، انظر : أحمد ميمت : قصص الحيوان في القرآن - دار الشروق القاهرة
 ط ١ - ١٩٨٣ - ص ٧، وما يليها .

وانظر : ليلي حسن سعد الدين : كلية ودمنة في الأدب العربي - دار المعارف دمشق
 ص ١٥٢، وما يليها

تركها في العراء تنتاشها ضواري الوحوش والطيور ، مما كانت تفضله
بعض الشعوب قبل الفتح الاسلامي .

ويقال ، بأن فعل الغراب كان " معجزا مثل حديث المدمد ، وحمله
الكتاب ، ورده الجواب إلى سليمان " . قال تعالى حاكيا فعل الغراب :
" فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيَبْرِيَهُ كَيْفَ يُؤَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ ،
قَالَ يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي ،
فَأَصْبَحَ مِنَ النَّارِ مِيمِينَ " (٢)

وهكذا ، ومن خلال العلاقة بين قاييل والغراب ، تبينت فاعلية هذه
الشخصية المعاونة في صيرورة الحدث .

انه كذلك من خلال العلاقة التي قامت بين ذئب يوسف الموهوم ، ووعي
يعقوب ، وذاكرة اخوة يوسف ، أخذت الأحداث صيرورتها ، ذلك أن شخصية
الذئب في قصة يوسف قد قامت بدور لا يمكن نعتة بأنه دور الفكرات
القصصية أو المسرحية ، لأنه كان الحلقة الوثيقة التي أفهمت
يعقوب سرائر أبنائه ، فلم يصدقهم بعد ذلك قط ، وكذبهم ذلك
التكذيب الذي أوحته كلمة "عشا" الظرفية ، والذي

(١) - الطبرسي : مجمع البيان في تفسير القرآن - م ٢ - ج ٦ - ص ٢٧

(٢) - سورة المائدة : ٣١

تبيين له من خلال فحمة للقميص ، بأنه " لوأكله الذئب لخرق
 القميص" (١) ثم يأن الذئب هذا الذي لم يجترح أكل يوسف قط ،
 هو الذي ظل يسيطر على عقول إخوته ، من حيث إنسه كان منفسد
 الخلاص من يوسف ، في إبتائهم أباهم بماله ، على الرغم من أنهم
 متيقنون بأنه في غيابات الجب .

ويبدو أنهم ظنوا أن مآل يوسف الحقيقي كان في جوف الذئب دون
 غيابات الجب ، إذ أنهم سلكوا معه وهو في شخص الخازن ، أو معاون
 الملك ، على أنه في حكم الأحاديث والماضي ، إلسي أن فاجأهم بمعرفة
 عنهم ، فتساءلوا : " أَلَيْتَكَ لَأَنْتَ يَوْسُفُ؟ " (٢) . يقول تعالى سارداً هذا
 الدور الذي ألقى على الذئب المزعوم وعلى به : " وَجَاءُوا وَالْأَبَاهُمْ عَفَاءً
 يُبْكُونَ ، قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا نَهَبْنَا نَسِيْقًا ، وَتَرَكْنَا يَوْسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا
 فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ ، وَمَا أَنْتَ بِمَوْمِنِنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ، وَجَاءُوا
 عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ، قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا ، فَصَبْرٌ
 جَمِيلٌ ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ " (٣) .

(١) - الطبري : جامع البيان في تفسير القرآن - م ٧ - ج ١٢ - ص ٩٧

(٢) - سورة يوسف : ٩٥

(٣) - سورة يوسف : ١٦ ، ١٧ ، ١٨

ولقد أظهر الله عصا موسى على أنها فاعلة أيضا ، وفي الوقت نفسه
 مسخرة لأمره ولمشيئته ، وهي تقوم على فكرة التبدل والتغيير بمرتبة
 أعلى من مراتب أفعال السحرة بسعصيم ، والأفعال تلك هي التي كانت
 تميز ذلك العصر ، من حيث بلوغ السحر أعلى مرتبة من التقدم ، الأمر
 الذي جعل آية موسى تصدر من فرع الممارسة ذاتها ، وهي ممارسة السحر
 ومما يؤشر أن " الساحر كان عندهم معناه العالم ، ولم يكن السحر
 عندهم ذمّا " ، قال تعالى: " قَالَ لَهُمْ مُوسَى الْقَوَا مَا أَنْتُمْ مَلْقُونَ؟
 فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ، فَأَلْقَى
 مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ " .^(٢)

وهكذا ومن خلال ما ذكرناه ، يتضح لنا بأن الإخبار عن هذه الشخصيات
 المعاونة المختلفة الأجناس ، وبما قامت به من أفعال ، لا يمكن إغفالها
 عند ذكر الشخصيات المحورية ، واستنطاق أبعادها .

.....
 (١) - الطبري : جامع البيان في تفسير القرآن - م ١١ ج ٢٥ - ص ٤٨

(١) - سورة الشعراء : ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥

• تقويم الفصل الثاني •

XX

يتم تعريف الشخصية في السرد القصصي في القرآن باسمها في معظم المواطن ، مثلما نلاحظ في حالة الأنبياء ، فالشخصية في السرد القصصي القرآني لها حدوثه فعلي ، يمتد بأثره إلى الحاضر ، وهي تقوم بدور المداية المستمرة ، ولذلك فهي معمورة في أغلب الأحيان بعدما الجسي ، مثلما نجد في شخص يوسف ، والنبي موسى ، وأطالوت .

كما أنها مزودة بأساسها الاجتماعي ، فيمكن بأصوله تصنيفها فيما يمكن أن نجده الآن من الحقول الاجتماعية ، كالفقيرة ، والمتوسطة ، والفاحشة الثراء ، مع بون شاسع أحيانا ، كالذي نجده بين يوسف وامرأة العزيز ، وأموسى وفرعون .

ان الشخصية في السرد القصصي في القرآن كذلك ، مدعومة بخصيصة نفسية تؤهلها مع البعدين : الجسماني والاجتماعي لإدارة الصراع والتماذي فيه :

والخصيصة النفسية تيسر لنا أن ندرج الشخصيات بسهولة لوثقنا ، في الأنماط النفسية المعمودة الآن في حقل علم النفس ، فالسمة الانبساطية التي ميزت نسوة المدينة في قصة يوسف ، على سبيل المثال ، لامراء فيهما .

ان الشخصية بمفهومها الفني ، قد تمتد الى الكائنات المعاونة التي وردت في القرآن وطورت القصص فيه .

الفصل الثالث

السَّعَاءُ وَأَسْلُوبُ السَّرْدِ القَصَصِي فِي الْقُرْآنِ

- تمهيد
- السَّعَاءُ فِي قِصَّةِ نُوْحٍ
- السَّعَاءُ فِي قِصَّةِ يُوسُفَ
- السَّعَاءُ فِي قِصَّةِ مُوسَى
- تقويم الفصل الثالث

• الصراع والسرد القصصي في القرآن •

تمهيد
xxxxxxxxxxxx

ان الصراع قائم في الحياة ، وهو سنة استمرارها ، وهو في القصة أحد عناصرها الضرورية لدفع الحدث ، على أن الصراع له أشكال عدة ؛ (١)

أ - الصراع الداخلي النفسي الذي ينشب داخل نفس المرء ، ويقوم أحياناً بين فاعلين : نازع وضعي ، ونازع مصدره أساسي هو من تكوين النفس البشرية ، كالصراع بين الحب والواجب •

ب - الصراع الفكري ، وهو قريب من الصراع النفسي ، ومشتق منه ، وقد يكون مترتبا عليه ، وقد يكون شبيهاً بالجدل بين طرف متفهم لأمرٍ ما ، وآخر غير متفهم له ، وهذا اللون من الصراع يرتب للصراع المادي غالباً ، ويقود إليه ، وبعد سادة له وركيزة ومهارة •

(١) - الصراع هو المظهر المعنوي للمسرحية ، ويوحى بنوع من المباراة بين قسوى متساوية تقريباً ، كما يوحى بالفعل وردود الفعل •
انظر : رونييه ويلك ، وأوستين وارين ؛ نظرية الأدب - ترجمة : محيي الدين صبحي ، ومراجعة : د. حسام الخطيب - مطبعة خالد الطرابيشي
١٩٧٢ - ص ٢٨٢

(٢) - الجدل : قول يقصد به الى اقامة الحجة فيما اختلف فيه اعتقاد المتجادلين ، ويستعمل في المذاهب والديانات وفي الحقوق والخصومات والتنصل والاعتذارات • ولمزيد من الاطلاع ، انظر :
قدامة بن جعفر ؛ نقد النثر - دار الكتب العلمية - بيروت - ١٩٨٢ - ص ١١٧

ج - الصراع المادي الذي يقود اليه كل من لوني الصراع النفسي والفكري ، وفي هذا الصراع المادي يقدم كل طرف مالمديه من قوة وعتاد وكيد وجلاد ، لينصر فكرته . ويتحتم أن تكون شخصية الخير والشريير على جانب متكافئ من القوة والسوا* لدفع الحدث ، وان كان النصر لا بد أن يكون في آخر المطاف معقودا للخير على الشر ، بعوامل من داخل البناء القصصي ذاته ، والقرآن الكريم يؤكّد مبدأ نصر الخير وحاملي رسالته وتابعيهم في الدنيا والآخرة .

"إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَيَوْمَ يَقُومُ
الْأَشْهَادُ" (١)

ونلاحظ أن الصراع في القصص القرآني ، في الأغلب الأعم ، يبدأ صراعا فكريا له غايات متشعبة ، ثم يتحول إلى صراع نفسي في نفوس الأفراد ، وقد يصحبه صراع مادي أو ينتهي هو إلى هذا المنف من الصراع الحركي ، وقد يتوقف أحيانا عند لون من هذه الألوان ، أو يقتصر على لونين منها ، وذلك وفقا للغاية التي من أجلها سردت القصة . وسنناقش ، إن شاء الله ، في هذا الفصل تلك الألوان من الصراع التي تتوافر في السرد القصصي القرآني ، وتعييز ، بقدر

(١) - سورة غافر : ٥١

كبيره ، خصائص أسلوب السرد القصصي فيه ، متحولين الى نماذج منه
 في حركة الشخصيات ذاتها ، كما تتمثل في نوح وابنه ، ويوسف وخصومه ،
 وموسى في مواجهة فرعون والملأ من قومه .

١ - قصة نوح وابنه

XXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXX

يمكن أن نقدر الصراع الوجداني الذي دار بين الابن العاق وأبيه النبي ،
 على أنه ، كما سبق أن بيّنا في الفصل الأول ، صراع فكري بين كافر
 ومؤمن ، انتقل الى صراع مادي صرف ، بأن تحول الخصم الى حركة
 مادية صرفة ، أو أمد لهذه الحركة المادية الصرفة ، بإخاره خطأه ،
 لطريق جبل يعصمه من الماء " مثل عصام القرية الذي يشده رأسها
 (١)
 فيمنع الماء أن يسيل منها " ثم اعتصم النبي الأب الخبير
 بالفلك الذي كان يبيّنه ، ووصول المقدمات الأساسية^(٢) الى ذرى ، هي
 فعل الهلاك بالطوفان للشخصية الكافرة ، والنجاة والحياة الجديدة
 لنوح ومن صحبه من رموز هذه الحياة ، " وَكَادَى نُوحٌ أَنْ يَهْلِكَ وَكَانَ

(١) - الطبري : جامع البيان في تفسير القرآن - م ٧ - ج ١٢ - ص ٢٨

(٢) - المقدمة الأساسية : هي الفكرة الأساسية التي تحملها الشخصية وتنتقل

بها من أجل تحقيقها ، وهي التي تحركها للفعل .

انظر : لاجوس اجري : فن كتابة المسرحية - ترجمة : درينسي خشبة - مكتبة

فِي مَعْرَلٍ ، يَا بَنِي آدَمَ مَا كُنَّا لَكُمْ مِنَ الْقَائِلِينَ ، قَالَ سَائِي إِلَى جَبَلٍ
يَعِصْمِي مِنَ الْمَاءِ ، قَالَ لَأَعْتَمِدَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ ، وَحَالَ
بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُفْرَقِينَ ، ^(١) " فعنا الصراع فكري ، قاد
إلى صراع مادي ، وانتهى إلى خاتمة خسر فيها الكافر ، وانتصر
المؤمن ، وفقاً للمقدمات الأساسية ، أي الفكرة الأولى .

ب - قصة يوسف

XXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXX

ينبني صراع يوسف بصفة أساسية على ما سبق أن قدمه السرد القرآني
وناقشناه في المباحث السالفة ، من حيث الأماكن المحددة ، والأزمنة
المسفرة ، والأبعاد الجسمية والاجتماعية والنفسية للرموز الخيرة
والخصوم على السواء ، إذ أن الصراع يبدأ من تلك الفكرة المعطاة لنا
من حيث وجود الحقد والغيرة في نفوس مستعدة للقتل ، قادرة على
تنفيذه شاردة فيه ، " أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ
وَجْهٌ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ، قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا
يُوسُفَ وَالْقَوْهَ فِي غَيَابَاتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ قَاعِلِينَ " ^(٢) ؛

(١) سورة هود: ٤٢ ، ٤٣

(٢) - سورة يوسف: ١٠٦٩

فلقد اجتمع الإخوة " على أمر عظيم من طبيعة الرحم ، وعقوق الوالد
وقلة الرأفة بالصغير القَرَج الذي لاذنباله ، وبالكبير الفاني ذي
الحق والحرمة والفضل " ، ^(١) في حين أن حامل القضية الخيرة ، سواء
كان يعقوب أم يوسف غير قادر على شيء ، فيعقوب كبير السن ، رقيق
العظم ، أما يوسف فطفل صغير غريب ، قليل البأس هين الشكيمة ،
ثم إنه مَلِّقُ السَّلَمِ لإخوته ، فهم يكبرونه ، ثم إنه لم يكن متوجساً
الشر منهم ، وإلاً لما حبهم ، بل استمسك بأبيه .

بعد ذلك تتصاعد الأحداث وفق الدعائم الجسدية والاجتماعية
والنفسية ، التي سبق أن أوضحناها مختصة ببني اسرائيل ، لتحقيق
الفعل دون عناد أو تضال أو مقاومة من يوسف الذي هو طفل طيِّع ،
ثم لانجد صراعاً نفسياً بتهمة ، في نفوس الاخوة وقد نفذوا جرمهم ،
إذ لا يدلنا القرآن على أثر من النفس اللوامة . ولقد سكت
هذا النوع من الصراع حتى في مواجهة الأب الفاهم الذي اندلع
في نفسه صراع شديد نتمثله في كونه متعلقاً بفلذات كبده ،
دون فلذة واحدة . هذا الصراع الذي كبت بعد ذلك ، وأوضحته

(١) - ابن كثير : تفسير القرآن العظيم - م ٤ - ص ١٢

مناجاته لنفسه وحواره مع أبنائه " فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ، وَاللَّهُ الْمُنْتَعَانُ
 (١)
 عَلَى مَا تَصِفُونَ " ، على أن العوامل النفسية والاجتماعية والجسمية
 تستثمر الصراع ككرة تالية ، وقد شَتَّب يوسف في بيت العزيز بعد
 أن التقطته السيارة ، وباعته " يَثْمَنِينَ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ
 مِنَ الزَّاهِدِينَ " (٢) ، وهذا دون صراع نفسي يذكر ، يحتمل أن يكون دار
 بينهم ، ذلك أن ملاحه يوسف في غيبة خصائص اخوته ، تتسلط
 على طرف آخر ، غير أن هذا الطرف يكون لها جد متقبل ، وفيها أشد
 راغب ، وهو طرف أنثوي •

ومن المعروف أن الطرف الأنثوي ينجذب لموضوع توفقه ورغبتة بكل
 الوسائل ، ولو بصورة الاضطهاد أو المماكسة أو التجني أو القتل ،
 وهذا مما نلاحظه في الحياة بين الطرفين البشريين ، الذكر والأنثي •
 فتراود امرأة العزيز يوسف عن نفسه ، وتعمل الخصائص النفسية
 ليوسف ، التي أصبحت نبوية ، عملها في هذا الصراع الناشئ
 الجديد ، إذ يستعصم ، على حين تندفع المرأة المترفة المتشوقة ،
 ويظل هذا الصراع المادي الى قرب الباب الذي كان يَحْتَوِشُ هذا

(١) - سورة يوسف : ١٨

(٢) - سورة يوسف : ٢٠

الصراع الذكري الأنثوي الذي انتهى بكبت العامل الغريزي عند النبي ، وهو كبت لا يعدله كبت آخر ، وقد اختص به الأنبياء ، ورجل بشره الله بالجنة .

وهكذا امتنع يوسف عن فعل الفاحشة "بحسب ما أعطاه الله من النفس القدسية المطهرة النبوية" ، يقول تعالى سارداً حلقاً (١)
 هذا الصراع : " وَرَأَوْنَاهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ
 الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ، قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ ، إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ ، إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ
 الظَّالِمُونَ ، وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنَّ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ، كَذَلِكَ لَنَصْرَفَ
 عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ ، إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ، وَاسْتَبَقَا الْبَابَ
 وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ " (٢)

إن الكبت الذي تشكل وترسى بأريسية الصبر بعد الدفاع القليل عن النفس ، وعن السمعة والشرف ، والتيقن بظهور الحق ، ظل يصاحب يوسف حتى تحقق البرؤ بيا ، غير أن عاملاً جديداً يدخل في شخصية النبي يجعله فجأة يتخلى عن الكبت ، وعن الزهادة في الدفاع عن نفسه ، والرَّمْي بالحق في وجه الباطل ليمحقه ، ولو أساء لأكثر من لايعنيم

(١) - النيسابوري : غرائب القرآن و غرائب الفرقان - المطبوع عليها من الجامع

للطبري - م ٢ - ج ١٢ - ص ١٢٥

(٢) - سورة يوسف : ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥

ظهور الحق ، ذلك عند ما سأل الفتى الذي ظن أنه سينجو من مقتلة فرعون أن يذكره عند ربه ، " وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا أَذْكُرْني عِنْدَ رَبِّكَ " (١) .

لقد اتخذ النبي قراره عندئذ ، وقد منح خاصة جديدة لم تكن له ، وهي خاصة تأويل الأحاديث ، فلما ذا لا يدعم بها سبيلاً للخروج لنشر الحق ، وعبادة الله الذي لا شريك له ، في قوم يعبدون " أرباباً شتى متفرقين وآلهة لا تنفع ولا تضر " (٢) ، قال تعالى حاكياً

قول يوسف : " يَا صَاحِبِي السِّجْنِ ، أَرَبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ، مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مِمَّا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ " (٣) ، إلا أن الناجي ، في غمرة الفسح بالنجاة ، نسي " أن يذكر مولاه الملك بذلك " (٤) ، " يَا أَيُّهَا الْمَتِّ

بِغُرْعَلُونَ رَوْيَا ذَكَرْتِ الْفَتَى بِيُوسُفَ ، كَيْ يَعْبرُهَا لِلْمَلِكِ ، " وَقَالَ الَّذِي نَجَّى مِنْهُمَا وَاتَّكَّرَ بَعْدَ أُمَّةٍ ، أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ " (٥) .

ويتكهن اعتبار هذه الرؤيا من تدبير الله الذي هو بالغ أمره ، حتى يصل بيوسف للرؤيا التي أبعدت بطريقة طفولته ظاهرياً ،

(١) - سورة يوسف : ٤٣

(٢) - الطبى : جامع البيان في تفسير القرآن - م ٧ - ج ١٢ - ص ١٣٠

(٣) - سورة يوسف : ٣٩ ، ٤٠

(٤) - ابن كثير : تفسير القرآن العظيم - م ٤ - ص ٢٩

(٥) - سورة يوسف : ٤٥

ذلك " أنه لما قرب الفرج ، رأى الملك رؤيا هالته ، وأشكل تعبيرها
على قومه حتى عبرها يوسف " ، لتكون سبب نجات يوسف من السجن .
(١)
وتتواصل حلقات الصراع من السرد القصصي ذاته ، وإن تعددت الأدوار
فيها الأبطال جدد ، وحدثت أمور أخرى مبنية على صراع نكسرات
وشخص ثانونيين كانت قد أثبتت من قبل جمال يوسف ، والقبر
الذي مُنِحَهُ من تأشير على النساء جميعاً دون امرأة العزيز .
ومن الأبطال الجدد ، الملك الذي لانعرف له صراعاً ، فدوره ثانوي
يسير ، والنسوة اللاتي شهدن له بالبراءة . ثم نجد النبي بعد ذلك
في تمام عناصره الجسمانية والاجتماعية والنفسية ، لا ينقص
خردلة ، وهو يواجه الخصوم الأوائل ، ويضطرهم للإنعان لإرادته
التي لاتنفضل عن الخير ولا تريم عنه ، بأن يقرؤا بخطئهم وأن
يتنازلوا عوداً على بدء ، " قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آفَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا
كَوَلِّئْنَا كُفَّاءَ لَخَاطِئِئِنَّا " (٢) ، ثم حملهم قميمه إلى أبيه ، وأمرهم
بأن يحضروا أبويه من البدو ليدخلا مصر ، والتتحقق بأمر الله ،
في آخر الصراع ، الرؤيا التي بدأت بها الأحداث ، ونَسَلَتْ مِنْهَا ،

(١) - الطبرسي : مجمع البيان في تفسير القرآن - م ٤ - ج ١٢ - ص ١٧

(٢) - سورة يوسف : ٩١

حين يرفع أبويه على العرش ، " وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا
لَهُ سُجَّدًا ، قَالَ يَا آيَاتُ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلْنَا
رَيْبِي حَقًّا " (١)

ونلاحظ هنا أنَّ الصراع من النوع المتدرج ، وليس من اللون الواثق
أو الساكن ، وهذا اللون المتدرج هو الذي ينسلك من بعضه دون
قفزات أو فجوات ، وهو الذي يصلح للقصة الناجح ، حيث لا يصلح له
الصراع الواثق الذي يعتمد على النقلات السريعة غير المبينة ،
كما أن الساكن هو الذي لا تتحرك به الأحداث ولا تصل به إلى
ذرى تذكر . (٢)

والألوان تلك من الصراع ، هي التي أسهم فيها نقاد القصة الوضعية ،
ولا يمكن القول بأن الخالق قد صَوَّبَ إليهما ، لأنه لديه سنن
الشيء وطبائعهما وأسسهما ، وهو خالق اللغة ، وخالق
الخير والشر ، وإليه ترد الأمور .

(١) - سورة يوسف : ١٠٠

(٢) - للاطلاع على ألوان الصراع في المسرح أو الفن القصصي ، انظر :

لاجوس اجري : فن كتابة المسرحية - ص ٢٧١ وما يليها .

ج - قصة موسى

XXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXX

يبدو الصراع في قصة موسى بطرق معقولة كذلك ، صحيحة ، معتمدة على ما سبق أن أفصح عنه السرد القصصي القرآني ، من ذكر للزمان والمكان اللذين ستدور فيهما الأحداث ، وكذا توطيد للأبعاد الجسمية والاجتماعية والنفسية للنبي الخير المرسل ، والخصوم الأشرار ، فإذا عدنا بداية صراع موسى مع فرعون وملكه وافدا من نبوءة أُوتت لفرعون على هذا النحو: " إن مولودا يولد في بني اسرائيل يكون سبب نهاب ملكك " ، ثم أمر فرعون ، فراراً من عاقبة النبوءة ، بتقتيل الذكران من بني اسرائيل واستحياء الإناث ، فإن الصورة ستكون واضحة ومبررة لحلقات الصراع الشديدة التي دارت بين موسى وفرعون ، ولم تختتم إلا بنبذ جثة فرعون على شاطئ اليم :

" إِنْ فِرْعَوْنُ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيْعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ ، يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ، إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ، وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً فِي الْأَرْضِ الْوَارِثِينَ ، وَنَمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ ، وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ " (٢)

(١) - الطبرسي : مجمع البيان في تفسير القرآن - م ٥ - ج ٢٠ - ص ٢٦٣

(٢) - سورة القصص : ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧

إن الصراع في قصة موسى استدخله قوى أخرى غير مرثية ومرثية،
 فمن غير المرثية: الوحي النبي المم أم موسى أن تضعه في تابوت
 "ثم تقدنا التابوت في النيل" (١) ومن المرثي: أمه التي نفذت

مأمر به الوحي، وأخته التي أمرت بأن تقصه من قبل أمها،
 "وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ قَالَ لِي فِي الْيَمِّ"
 "وَقَالَت لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصَّرْتِهِ بِهِ عَنِ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ" (٢)

كما يدخل الصراع أفراد آخرون وموسى بعباياته العاديه في مصر،
 قبل أن يفضي اليه مع أخيه هارون بعد ذلك بأمر إنذار فرعون
 وملئه. والذين أتخلوا في الصراع، ليتيم بهم حلقائه، وبها
 التخويف والإنذار، أشخاص يفصحون عن العداوة المستحكمة
 التي كانت قائمة بين سلالة بنى اسرائيل مع من أدخلوا مع
 يوسف، والأقباط المصريين من أصحاب الأرض.

وبالتحديد، رجل عبراني تشاجر مع رجل قبطي، ثم الرجل نفسه
 يتشاجر مع قبطي آخر، وقد أدى تدخل موسى بقوته الجسميه
 في نظير ضعف خصمه الجسدي، إلى حماسه موسى ابتداءً، ثم تدمره

(١) - الصاوي: حاشية الصاوي على تفسير الجالين - م ٣ - ص ٢٠٩

(٢) - سورة القصص: ٧

(٣) - سورة القصص: ١١

بعذلك ، وإرهاقه السمع ، وطاعته الناصحين بالخروج من المدينة
 " وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا ، فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ ،
 هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ ، فَاسْتَعَاثَهُ الَّذِي هُوَ مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى
 الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ ، فَوَكَّزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ ، قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ
 الشَّيْطَانِ ، إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ، قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ
 لِي ، فَغَفَرَ لَهُ ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ، قَالَ رَبِّ إِنَّمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ
 فَلَنْ أَكُونَ ظَاهِرًا لِلْمُجْرِمِينَ ، فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ،
 فَلَمَّا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصِرُّهُ ، قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ ، فَلَمَّا
 أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا ، قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَهُ
 نَفْسًا بِالْأَمْسِ ، إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ
 الْمُعْلِحِينَ ، وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى ، قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ
 يَأْتِمِرُونَ بِكَ لَيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ، فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا
 يَتَرَقَّبُ ، (١)

على أن الراسب النفسي الذي استقر في نفس موسى ، التي سبق أن
 شَرَحْنَاهَا مِنْ قَبْلُ ، وَطَدَّ هَذِهِ النَّفْسَ لَكِي تَكُونَ مُتَّقِبًا حَسَنًا لِمَا
 سَيَتَعَدَّلُ بِهِ الْمِيزَانَ مِنْ مَعَامَلَةِ لِبْنِي جِلْدَتِهِ وَاتَّضَحَ ذَلِكَ فِي عَدَمِ

رفضه الرسالة ، عندما أَلْقِيَتْ أَوْامِرُهَا إِلَيْهِ ، وهو بجانب الطور ، بل في أن يسأل الله أن يَفْتَدِ عَضُدَهُ بِأَخِيهِ هَارُونَ ، وكان قد تزوج وفقاً لخاصته الانسانية البشرية بفتاة هي ابنة شعيب ، كان قد استخدم قواه أو ما حباه الله إياه من مقدرة في سقي غنمها ، وهي مع أختها لاتقدران على السقي حتى يُصَيِّرَ الرِّعَاءَ .

لقد كان الزواج دون صراع يذكر في نفس الفتاة التي عرفنا من ملامحها أنها طلبت من أبيها ، بأسلوب لا يخلو من حياء أنثوي ، لكنه لا يخفى أيضاً حقما في أن تكون إلى جوار رجل أمين وقوي ، مادامت لم ترزق من أبيها أحاً على ما يبدو .

ومما يؤثر أن الحياء " هو حالة تعبري الشخص ، تحمله على تجنب الرذائل " ، وهذا الحياء أيضا كان المانع لأختها من مصادمتها في الاستئثار بموسى ، فأختها قبل كل شيء بنت نبي ، وأخت زوج نبي ، " قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ ، إِنْ خَيْرٌ مِّنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ، قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ ، عَلَيَّ أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِي حِجَجٍ " (٢) .

(١) - الصاوي : حاشية الصاوي علي تفسير الجلايين - م ٣ - ص ٢١٤

(٢) - سورة القصص : ٢٦ ، ٢٧

إِنَّ الصِّراعَ المادي في هذه القصة يظهر على أشده بين موسى و فرعون
 وملئه ، قائماً على مقدمة مفاجئة كانت حتمية حسب الأحداث
 المعطاة ، والتناقض القائم بين مؤمنين ، لا بد أن لديهم علماً
 من ديانة يعقوب ويوسف ، وآخرين يعبدون الملك . هذه المقدمة
 هي أن يرسل فرعون مع موسى بني إسرائيل ، مما يثير نفيس
 الخصم العالي الذي أسلفنا ركائزه الجسمية المعتادة ، والنفسية
 الطاغية ، والاجتماعية الفاحشة ، فيذكر موسى بطفولته ومنشئه
 بقية زعزعة معنويات خصمه ، حتى يتغير مزاجه ويخرج عن حد
 الاعتدال . ومن المعلوم أن " المزاج إذا زاد على حد الاعتدال في الحرارة
 كان معه العجلة وقلة التوقف وعدم الصبر وسرعة الضجر " (١)
 وموسى ، حسب ما بيَّنا خصائصه النفسية من قبل ، أنفعالي ، يربكه
 الغضب ، إلى جانب أنه مُتَخَوِّفٌ إِلَّا بَعُونَ مِنَ اللَّهِ ، لكنه كان مزوداً
 ببرهانين ماديين: هما العصا واليد ، رَفَعَا مَعْنَوِيَّاتِهِ بِمَجْرَدِ
 أَنْ اسْتَعْلَمَهُمَا ، الأمر الذي جعل فرعون يحدد يوماً يَتِمُّ فِيهِ الْكَيْزَالُ
 بين موسى وأتباع فرعون من سحرة ، وهو واثق من النصر لاعتقاده

(١) - يمكن الاستئناس صدهما هنا بناقد مثل :

قدامة بن جعفر : نقد النثر - ص ١٣٩

بأن موسى سيحاربه سلاح العصر ، " قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا
يَسْحِرَكَ يَا مُوسَى؟ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرِ مِثْلِهِ ، فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا
لَا نُغْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سِيوَى ، قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ
يُخْشَرَ النَّاسُ ضَحَى " (٢) ، لكن الصراع المائي الذي دار ، أتى بالنتيجة
في غير فائدة الخصم ، فموسى الذي جرب سلاحه من قبل ، وقد
تردد في نتائجه برهة ، لا يسعه إلا أن يشق من مقدّماته الأساسية ،
وأن يستقبل النصر ، بل أن يرى كل علامته أمامه ، من سجد السحرة ،
وعصيانهم الملك بما يشبه الانقلاب أو التحول ، مما جعل فرعون يواجه
نفسه برهة ، ويكاد يفتش عناصر ثباته ، إذ يراجع السحرة :
" أَأَمَّنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ ، إِنَّهُ لَكَبِيرِكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ " (٢) ،
بل إنه ليوعينهم بالعقاب تلقاء تخليهم عن مواقعهم التي رسما
لهم في الصراع ، بصفاتهم شخصيات معاونة للفاعل الشرير ، إذ
يستطرد فرعون كاشفاً نوع ذلك العقاب الذي كان أنكى عقاب في ذلك
العصر ، قائلاً : " فَلَا تُطْعَمُنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلُكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَا مَلَبَّتْكُمْ فِي
جُدُوعِ النَّخْلِ وَلِتَعْلَمَنَّ آيَاتُنَا شَدَّ عَذَابًا وَأَبْقَى " (٣) ، فكان فرعون بهنا

(١) - سورة طه : ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩

(٢) - سورة طه : ٧١

(٣) - سورة طه : ٧١

(١) الصنيع ، كما قال ابن عباس : " أول من فعل ذلك " . إلا أنه يبدو أن هناك تحولا مبدئيًا حَدَثَ في نفوس الموجهة اليهم الرسالة ، وبشيراً عاجلاً سريعاً بوصول الهداية إلى أهدافها ، من إعلان السحرة بإيمانهم ، على الرغم من إفصاح فرعون عن ارادته الشريرة الموعدة بالويل ، " قَالُوا لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيْنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا ، فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ ، إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ، إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِنَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْشَرُ " (٢)

ينتقل الصراع بعد ذلك إلى وجه آخر تحول فيه الفاعل الخبير إلى صفحة جديدة فيما انصداع للخصم ، يتمثل في فئة التنوير بالباطل (٣) وقد آمنت ، ولم يبق إلا رأس الكفرة فرعون وملؤه ، وطائفة المتشيعين له . على أن هؤلاء يكابدون من جنود الله الخفية المخرة بين السماء والأرض ، إذ يُعَانُونَ مَا أَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ طُوفَانٍ وَجَرَادٍ وَقُمَّلٍ وَضَفَّارٍ عَوْدِمٍ ، لتوهن من عزيمتهم ، بوصفهم شخصيات شريرة ، تستخدم طرقاً من النفاق والمراوغة والدماء والمكره

(١) - ابن كثير : تفسير القرآن العظيم - م ٤ - ص ٥٢٦

(٢) - سورة طه : ٧٢ ، ٧٣

(٣) - أعني بهم السحرة ، وقد كانوا هم السلاح الفعلي لفرعون ، ولم يكن هامان .

بما جعلنا نتمثل ذلك الصراع الفكري المستحضر الذي يحاول
 الشخص الشرير به أن يكون على قدر من العناد والإصرار ، لا يقلل
 عما يتمتع به خصمه ، وهو في مجرى الصراع وذروته ، وفي اتخاذه
 القرار ، إذ كان فرعون وملؤه كلما حلت بهم آية، هرعوا إلى موسى
 " يسألونه أن يَدْعُوا لَهُمْ رَبَّهُ لِيَكْشِفَ عَنْهُمْ الْعَذَابَ " ، ولكنهم
 سرعان ما " ينقضون عهودهم التي عاهدوا ربهم وموسى ، ويقيّمون
 على كفرهم وضلالهم " ، يقول تعالى ساردا وقائع هذا الصراع العالمي
 الفكري : " وَقَالُوا مِمَّا تَأْتِينَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لَتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ
 بِمُؤْمِنِينَ ، فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ
 آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ، وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ
 قَالُوا يَا مُوسَى آدَعْ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ ، لَئِن كَفَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ
 لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَلَمَّا كَفَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بِالْعُوقِ
 إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ " (٣) .

وتتخذ العوامل الفوقية الالهية المسخرة لموسى مجراها وطريقها
 الوحيد المرسوم الذي كفله الله لعباده المرسلين ، من تحقيق النصر

(١) - الطبري : جامع البيان في تفسير القرآن - م ١١ - ج ٢٥ - ص ٤٨

(٢) - نفسه : م ٦ - ج ٩ - ص ٢٩

(٣) - سورة الاعراف : ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥

بما جعلنا نتمثل ذلك الصراع الفكري المستحضر الذي يحاول
 الشخص الشرير به أن يكون على قدر من العناد والإصرار ، لا يقل
 عما يتمتع به خصمه ، وهو في مجرى الصراع وذروته ، وفي اتخاذ
 القرار ، إذ كان فرعون وملؤه كلما حلت بهم آية هرعوا إلى موسى
 " يسألونه أَنْ يَدْعُو لَهُمْ رَبَّهُ لِيَكْفُرَ عَنْهُمْ الْعَذَابَ " ، ولكنهم^(١)
 سرعان ما " ينقضون عهودهم التي عاهدوا ربهم وموسى ، ويقيمون^(٢)
 على كفرهم وضلا لهم " ، يقول تعالى ساردا وقائع هذا الصراع العادي
 الفكري : " وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِنَسْحَرَنَّ بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ
 بِمُؤْمِنِينَ ، فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ
 آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ، وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ
 قَالُوا يَا مُوسَى آدُعْ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَمِدَ عِنْدَكَ ، لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ
 لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بِالْغُفْوِ
 إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ " ^(٣) .

وتتخذ العوامل الفوقية الالهية المسخرة لموسى مجراها وطريقها
 الوحيد المرسوم الذي كفله الله لعباده المرسلين ، من تحقيق النصر

(١) - الطبري : جامع البيان في تفسير القرآن - م ١١ - ج ٢٥ - ص ٤٨

(٢) - نفسه : م ٦ - ج ٩ - ص ٢٩

(٣) - سورة الاعراف : ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥

مهما طال الابتلاء، ومهما عز الخصوم، حين يُوحى إلى موسى من قبل
الله بأن يسري بعباده ليلاً.

لقد حشد الخصم الشرير كل أجناده ليقضي على النبي، حين حبه
نديداً مجرداً لاتعاضده قوى الغيب، وتابعه الى ميدان الصراع
مادي بحت، لكن هذا الميدان المادي هو أيضاً مَسِيلٌ من زهاء جنود
الله، ذلك أنه " لما انتهى موسى ومن معه إلى البحر، هاج البحر،
فصار يرمي بموج كالجبال، فصار بنو اسرائيل يقولون: أين أمرت؟
فرعون من خلفنا والبحر أمامنا، وموسى يقول: ها هنا، فأوحى الله
اليه أن اضرب بعصاك البحر، فإذا الرجل واقفاً على فرسه ولم يبتل
سرجه ولا لبدته " (١)

ان القرآن الكريم نقل إلينا في صورة من السرد أمينة، وقائع هذا الصراع
المادي، في قوله تعالى: " وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِلَيْكُمْ
مُتَّبِعُونَ، فَأَرْسَلْنَا فِرْعَوْنَ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ، إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ
قَلِيلُونَ، وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَذِرُونَ، فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ
جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ، كَذَلِكَ، وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ
فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ، فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّآ
لَمُدْرِكُونَ، قَالَ كَلَّا، إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ، فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ

أَنْ أَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ ، فَانْفَلَقَ ، فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ،
 وَأَزْلَفْنَا ثُمَّ الْآخِرِينَ ، وَأَنْجَبْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ثُمَّ أَغْرَقْنَا
 الْآخِرِينَ ^(١) ، ويقول أيضا : " وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ ، فَأَتْبَعَهُمْ
 فِرْعَوْنُ وَجُنُودَهُ بَغِيًا وَعَدُوًّا ، حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لِلَّهِ
 إِلَهِ الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ
 قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ، فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ
 آيَةً ، وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ " ^(٢) .

لقد كتبت العصير المحتوم للخصم الشرير ، وأفلست مقدماته العناد
 لديه ، ولقد أقر بذلك بنفسه وهو يتجرع كأس الغرق ، بل اعترف
 بعقيدة عدوه السابق .

وهكذا نجد حلقات الصراع قويدة متينة من اللون نفسه الذي بُني
 عليه الصراع المسلسل المتدرج الذي صادفناه في قصة يوسف عليه
 السلام ، وإن كنا نجد أن القرآن يسكت أحيانا عن ذكر أمور في ذلك
 الصراع ، تقلبها من شأنها ، أو لأنها مما يمكن أن يفتن اليه القارئ ،
 أو لأنها لا تدخل بصفة أساسية في إقامة المعنى الكبير والدلالة ،
 وبعد ذكرها فصلة وتفصيلا ، على نقيض ما نجد ، ونشكو تراكمه

(١) - سورة الشعراء : من ٥٢ الى ٦٦

(٢) - سورة يونس : ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢

في الصراع القصصي الدارج البشري ، في القصص التجاربي والبوليسي
 المايط ، الذي يقول كل شي* ، ولا يعتمد على الإيحاء والرمز ، وإن تعمد
 إخفاء النهاية عن القارئين ، وجعلها تحت طائلة التكهنات
 والحدس المستمر ، أو من وراء ستار ، وهذا ما لم يجد السارد سبحانه ،
 في القرآن له خطراً في كثير من الأحيان ؛ ذلك أن السرد القصصي
 القرآني ، لا يفرد سورة ، مما وقع فيه ذكر الأحداث الكبرى التي
 عبرت بالكفار والأنبياء ، بخاتمة الصراع دون سورة أخرى ، بما
 يمكن أن نقول معه مثلاً أنه كان ينبغي أن يتخذ خطة أخرى غير
 تلك الخطة المرسومة من الإمام* الى الخاتمة والكشف عما دونه وإغماض
 أو ألفاز .

إن القرآن ليس سقراً قصصياً ، قبل كل شي* ، بل إن القصص فيه
 أحد جناحي الإقناع ، فالجناح الآخر هو القول الوعظي المباشر .
 وسنجد بعد ذلك في تطور الفكر الإسلامي ونشأة العلوم العقلية ،
 من ينبيه إلى تعدد وسائل الإقناع ، ومنها المنطق والفلسفة ؛ إن
 نجد ابن رشد يرى وفقاً الآية الكريمة : " أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ (١) ، " نصّاً على ؛

• تقويم الفصل الثالث •

إن الصراع بالقياس إلى الحدث يأخذ صورة وجدناها تتفق مع نوع الشخصية ومكوناتها الجسمية والاجتماعية والنفسية ، فهو يبدأ صراعا فكريا يجري في داخل شخصية كل من الخير والشرير ، ثم يتدرج إلى صراع مادي تلعب فيه الوسائل الكلامية المنطقية ووسائل القوة المادية دورا كبيرا بتطويره ، حيث تجعل من الكافر أحق ، مندفعاً ، طائشاً ، يعتمد على الظاهر والظن ، والقوة المرئية فحسب ، من أجنار وسحرة ، وعتاد ، ووعود باطلة ، كما وجدنا في قصة موسى ، فيمما نجد النبي مترثناً إلا بلإمام إلهي ، وبتشجيع ووعد من با عثبه ومبشره بالنصر .

وينطلق الصراع سجالات غير أن النصر في النهاية يكتب للخير على الشر ، لتصبح الشخصية الشريرة عبثاً ، بما يتيح للسرد أن يحقق الغاية الأولى المبتغاة .

وتلعب الشخصيات النكرات دوراً مؤيداً لحاملي الصراع في الجانبين ، بصورة لاتجعلها تطفئ على أي منهما ، بل تدفع بهما إلى الأمام .

• تقويم الباب الأول •

لقد لاحظنا في الباب الأول أن أسلوب السرد القصصي في القرآن ، يمكن أن يتحقق بصفة مبدئية، نظرية ، عن طريق الحدث ، والسيطرة على خلق مبررات حدوثه بالصورة التي أرادها الله له ؛ من حيث أن للحدث شكلين : اعتياد وخرق للمألوف ، ونبوذة واضطرار النواميس لتحقيق النبوة ، كذلك بلإضافة الحدث دون تجهيله ، بلإضافة زمان حدوثه إليه ، ومكان الحدوث ، إن كانت الأضافة لفائدة الحدث والمتلقي ، النبي هو حجر الزاوية في بث الرسالة السماوية المنقولة بالقرآن •

ولكن الحدث بالصورة التي أسلفناها ، فهو لا يأتي قائما برأسه بل في وسط من فاعلين أسهموا فيه وأتتوه ، ولهذا لمنا السرد القصصي يهتم بالشخصية ، إلى جانب اهتمامه بالحدث المطلق ، إضافة لرعايته للفكرة • ولقد وجدنا الشخصية فيه دائرية ليست مسطحة (١)

(١) - الشخصية الدائرية أو النامية : هي تلك التي تتكشف تدريجيا للمتلقي خلال القصة ، وتتطور وتنمو قليلا قليلا بصراعا مع الأحداث أو المجتمع •

والشخصية المسطحة: هي تلك التي تمثل عاطفة واحدة أو صفة واحدة لا تتغير طوال القصة ، فلا تثر فيها الحوادث ، ولا تأخذ منها شيئا •
انظر: د. محمد يوسف نجم : فن القصة - ص ١٠٣ ، ١٠٤ ، وانظر: انظر:

كما أنها مركز فيها أبعادها الجسمية والاجتماعية والنفسية بطريقة
أوبأخرى .

إن الشخصية في السرد القصصي القرآني تتوافر لها عناصر البطولية
المحورية أو الخصم المحوري ، وما يعرف الآن كذلك بالبطل الشرير الذي
لا يقل عناداً وقوة عن البطل الخير ، مع ما يعاضد القطبين من شخص
ثانوية ، من كائنات مختلفة ، لا يمكن إغفال دورها في البعث على التشويق ،
والتسلسل ، وتراتب الأحداث ، والتطوير أو التحول الذي هو حافز الانبياء
بما يتخذ من أسلوب .

بأننا لاحظنا كذلك أن السرد القصصي ينقل إلينا صراع الشخصيات فسي
صورة الصراع المتدرج ، وهي الصورة المثلى في ألوان الصراع المختلفة ،
معتمداً على أفكار سابقة عن الشخصيات ، من حيث أبعادها الجسمية
والاجتماعية والنفسية ومقدماتها المنطقية ، وأن هذا الصراع يتصاعد
إلى ذرى ، وينم عن حلقات تدل حيناً على النضال السجال ، وحيناً يتفخم
فيها الشر بعوامل من الظاهر دون الباطن ، لكن المتلقي الذي يبطن
الثقة في ظهور الحق على الباطل آخر الأمر ، يكون مأخوذاً بدافع
المشاركة في دحر الباطل عن طريق القراءة والمتابعة والتمثل ،

بعد أن أزهقت الرُّسُلُ والمسلمون الأوائِلُ الباطلَ من قبل ، وفق الحقائق

التاريخية •

لأنَّ المتلقي كذلك ، يكون مأخوذاً بحافز التعلم ، واختزان العبرة

والخبرة ، حتى لا يتعرض لعثرة من العثرات التي استدرج اليها الطغاة

والمتجبرون الذين أجاد القرآن تصويرهم بإشارات ونعوت مازالت دالة

ومأخوذاً بها إلى اليوم •

وسنرى في باب اللغة ، إن شاء الله ، كيف يأخذ أسلوب السرد القصصي

سداً وصوابه ، حين نحاول أن نراجع ما تلقيناه على أنه أنعمسال

وأحداث ، وقد أخذ سمياً آخر ، هو سمت العلاقات اللغوية

والنحوية ، بل الصوتية الحَرْفِيَّةِ ، التي هي أولاً وقبل كل شيء الصورة

التي تعرفنا بها إلى السرد القصصي القرآني ، سواءً بالتلاوة

أو السماع •

الباب الثاني

اللغة وأسلوب السرد
القصصي في القرآن

تمهيد: في الرؤى العامة للأسلوب

(١) تقتضى كل عملية تواصل جهازاً أدنى يتكون من باث و متقبّل و ناقل ،
 فأما الباث فهو المنتج الذي يقوم بعملية تركيب المفاهيم وصياغتها ،
 والمتصورات المجردة المراد بثها ، في نسق كلامي محسوس ينقل إلى
 المتلقي عبر القنوات الحسية ، سمعية كانت أم بصرية ،
 والمتقبل هو المتملك الذي يقوم بعملية التفكيك لأنظمة
 العلامات المباشرة قصد فهم محتواها .

والناقل هو اللغة التي تواضع الباث والمتقبل على رصيدها
 المعجمي (٢) ، وأصبح التفاهم بها أمراً ممكناً ، سواء كان هذا التفاهم
 على مستوى مواضع اللغات في مبدأ النشأة ، حيث وضع لكل مدلول
 دال واحد ، أو على مستوى السياق وكسر المؤلف ، حيث انزياح
 الألفاظ عن معانيها الوضعية ، وتلبسها بدلالات مجازية استوجبها
 السياق (٣) .

(١) - د. عبد السلام المسدي : الأسلوبية والأسلوب - دار العربية للكتاب

ط ٢ = ١٩٨٢ - ص ٦٢

(٢) - نفسه : ص ٥٦

(٣) - د. عبد السلام المسدي : النقد والحداثة - دار الطليعة - بيروت

ط ١ - ١٩٨٣ - ص ٥٢

ولكي يتسنى للباحث الإفصاح عن حسه والتعبير عن أفكاره ، فإنه يتحتم عليه القيام بتركيب أدواته اللفظية تركيباً معيناً يؤدي إلى تصوير الفكرة المنشودة والانفعال المقصود ، وإخراجهما في صورة لفظية معينة تعكس فكر الباحث وشخصيته (١) .

ولا شك أن ضم الكلمات بعضها إلى بعض ، والنطق ببعضها في إثـر بعض من غير أن يكون فيما بينها تعلقٌ ، لا يعطي معنى ، لأن المعنى لا يحصل إلا من ملاءمة معنى الكلمة لمعنى التي تليها ، " حتى يكون لوضع كل حيث وضع علة تقتضي كونه هناك " ، أي أن مواقع (٢) الكلمات في التركيب يكون وفقاً لترتيب المعاني في النفس ؛ بحيث " لا يتصور أن تعرف للفظ موضعاً من غير أن تعرف معناه ، ولا أن تتوخى في الألفاظ من حيث هي ألفاظ ترتيباً ونظماً ، وانك تتوخى الترتيب في المعاني وتعمل الفكر هناك ، فإذا تم لك ذلك أتبعتهما الألفاظ وقفوت بها آثارها ، وانك إذا فرغت من ترتيب المعاني في نفسك لم تحتج إلى أن تستأنف فكراً في ترتيب الألفاظ ، بل تجدها تترتب لك بحكم أنها خدم للمعاني وتابعة لها ولاحقة بها " (٣) .

(١) د. عبد السلام المسدي : السلوبية والاسلوب - ص ٨٨

(٢) - عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز - تحقيق: عبد المنعم خفاجي

مطبعة الفجالة الجديدة - القاهرة - ط ١ - ١٩٦٩ - ص ٩٣

(٣) - نفسه : ص ٩٦

إن ذلك يعني أن الكلمات تترتب في النطق أو على الورق ، إذا كانت المعاني مرتبة في النفس ترتيباً معيناً حتى تحصل الصورة المبتغاة ، وهذا ما نهى إليه "بالي" ، وهو أحد النقاد الغربيين ، حينما أراد تمييز الأسلوب عن الأسلوبية ، إذ "حصر مدلول الأسلوب في تفجر الطاقات التعبيرية الكامنة في صميم اللغة ، بخروجها من عالمها الافتراضي ، إلى حيز الوجود اللغوي ، فالأسلوب حسب تصور "بالي" هو الاستعمال ذاته ، فكأن اللغة مجموعة شحانات معزولة ، والأسلوب هو إدخال بعضها في تفاعل مع البعض الآخر ، كما في مخبر كيميائي" (١) . ومن هذا التفاعل ، وتقاطع الدوال بالمدلولات ، ومن مجموع علائق بعضها ببعض يتكون الأسلوب ، وتتكون البنية النوعية للنص (٢)

إن الأسلوب إذن ، يحدد من خلال روابط الألفاظ بالأشياء ، وكذا من خلال علاقة الألفاظ فيما بينها ، ثم من خلال علاقة الألفاظ بالجهاز اللغوي الذي تنزل فيه (٣) .

والأسلوب من هذا المنظور هو حيلة تفاعل كل هذه العلائق مجتمعة

(١) - د. عبد السلام المسني : الأسلوبية والأسلوب - ص ٨٩

(٢) - نفسه : ص ٩٠

(٣) - نفسه : ص ٩١

وليس ملكاً عينياً لجزء من أجزائها . والمبدع هو الذي ينفي هذه
العلائق بين الأجزاء المكونة للنص الأدبي ، وهو الذي يؤلف بينهما
ويشيع النظام بين مفاصلها ، تبعاً لنظام آخر معنوي، انتظم وتألف
في نفسه ؛ ذلك أن " الأسلوب معان مرتبة، قبل أن تكون ألقاظاً منسقة
وهي تكون في العقل قبل أن يجري به اللسان أو يجري به القلم " (١) ،
إذن فالمبدع لا يستطيع الإفصاح عن حسه أو عن تأويله ، إلا إذا أتاحت
له أدوات لفظية ملائمة تحمل الشحنة المعنوية التي أراد بثها وإخراجها
للسجود .

ولما كان الباحث ، مهما كان انتهاؤه الاجتماعي أو سلم وعيه وإدراكه ، إنما
يرغب في توصيل محتوى رسالته إلى المتلقي ، فإنه يتحتم عليه أن
يكيف صيغة خطابه حسب أصناف الذين يخاطبهم .

ومن هذا المنطلق يرى بعض علماء الأسلوب : بأن جوهر الأسلوب إنما
يكمن فيما يضيفه الباحث على الفكرة ، بما يحقق كل التأثير الذي
سيقت من أجله هذه الفكرة ، أي أنه يرفق الفكرة بسهام تحضر
المتقبل ، فتستفزّه وتحرك نوازه وردد فعله (٢) .

(١) - أحمد الشايب : الأسلوب ، دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية
مطبعة النهضة المصرية - القاهرة - ط ٦ - ١٩٦٦ - ص ٤٠

(٢) - د. عبد السلام المسلي : الأسلوبية والأسلوب - ص ٨٤

وارتكازا على هذه المعطيات، يعرف أحد الكتاب اللغة والأسلوب،
 فيقول: " اللغة بناء مفروض على الأديب من الخارج، والأسلوب
 مجموعة من الإمكانيات تحققها اللغة، ويستغل أكبر قدر ممكن
 منها الكاتب الناجح أو صانع الجمال الماهر الذي لا يعمه تأديبة
 المعنى وحسب، بل يبغى بإيصال المعنى بأوضح السبل وأحسنها
 وأجملها، وإذا لم يتحقق هذا الأمر فشل الكاتب وانعدم معه الأسلوب (١).
 وهكذا يضاف إلى معيار تحديد الأسلوب مقياس آخر يتمثل في قياس
 قوة التأثير والضغط والقوة المقصودة هي تلك المتسلطة على
 حساسية المتلقي، وقابليته المدركة.

ورفقا لهذا المعطى، فإن ماهية الأسلوب تتحدد بكونه كائناً موجوداً
 مائعاً ومعلقاً لا يتنزل ولا يتجسد إلا بإصابة النص مرماه في نفس
 المتلقي (٢).

والمتلقي أو القارئ، للعمل الأسلوبي ليس له من دأب سوى فحص تلك
 الصورة اللفظية التي أبلغها إياه الباحث، وتفكيك عناصرها
 المكونة لجهاز الإبلاغ، حتى يتمكن من فهم محتواها، ويقترّب من

(١) - ريمون طحان: الألسنية العربية (٢) - دار الكتاب اللبناني، بيروت.

ط ٢ - ١٩٨١ - ص ١١٦، ١١٧.

(٢) - د. عبد السلام المسدي: الأسلوبية والأسلوب - ص ٨٤.

بإسراك ما يحدث بين عناصرها عند التفاعل، وما ينقطع عند الانفصال، إن كان قارئاً أدبياً، وذلك بطريق العزل والضم حتى تتجلى المفارقات والمقاربات

وهكذا يمكننا القول، بأن المستقبل هو محور العملية الاتصالية، بل هو لب القصيدة في أطرافها، فلذا علم الباحث حالة المستقبل التعليمية والاقتصادية، والاجتماعية، والنفسية، وغيرها، فإنه يتمكن عند ذلك من وضع مخططاته التوصيلية وفق هذه المعطيات، فيختار لها الوسيلة أو الأسلوب الذي يحققه التأثير المقصود من عملية الاتصال، ويبحث كذلك في تعديل الأسلوب لتحقيق هذا المبتغى.

والقرآن الكريم الذي لا يرقى إلى أسلوبه أسلوب إنس أو لجن، والذي كان أول أهدافه تحقيق الاتصال لتبليغ العقيدة الصحيحة للبشر، أجدر بأن يكون مصدراً وأنموذجاً للتوصليل بأسلوب اللغة، فخالقه هو ملهم الأساليب.

وسنحاول، إن شاء الله، أن نجلي طبيعة هذا الأسلوب من خلال المباحث التالية:

١ - الإيجاز والبسط في أسلوب السرد القصصي في القرآن

٢ - التناسب بين الجمل وأسلوب السرد القصصي في القرآن

٣ - ظاهرة التأكيد وأسلوب السرد القصصي في القرآن

٤ - التوافق الصوتي وأسلوب السرد القصصي في القرآن

.....

الفصل الأول

الإيجاز والبسط في أسلوب
السرد القصصي في القرآن

تقديم

- الإيجاز وأسلوب السرد القصصي

في القرآن .

- البسط وأسلوب السرد القصصي

في القرآن .

- تقويم الفصل

تقديم
XXXXXXXXXXXXXX

ان لكل عاطفة درجتها من التآني أو الإسراع ، ولكل فكرة مداها من الضيق والاتساع ، ولكل صورة طبيعتها من الظهور والضمور ، ومن القوة والضعف . والبيان التام هو الذي يوافق هذه الحالات ، ويعبر عنها بما يلائمها . وتبدو ملائمة لها في تطبيعها إلى فقرات وفواصل تقصر وتطول وفقاً لحالات النفس والفكر ، فقد تكون عواطف النفس جياشة بالألم ، أو مضطربة باللذة ، وحينئذ تكون الفقر القصيرة أنسب للتعبير عنها ، وقد تكون المعاني رزينة بطبيعة موضوعها لتوخيتها الإقناع والإفادة ، أو الشرح والتعليل (١) فتقتضي الأسلوب المرسل المفصل .

وهذا التفاعل العضوي القائم في عملية الخطاب ، بين الموضوع والحالة النفسية والفكرية لصاحبه ، لانتسبنا الضلع الثالث في العملية الإبلغية ؛ ذلك أن كل عملية إبلاغ لاتتم إلا إذا اكتملت فيها أعضاء المثلث المكون للجهاز الإبلغي :

الباث ، المتلقي ، الرسالة .

والباث مهما كان انتماءه الاجتماعي ، وأيا كان مستوى وعيه وإدراكه ، يرغب في حمل المتلقي على فهم رسالته ، وفي الوقت نفسه على

(١) - د . بدوي طبانة : قضايا النقد الأدبي - مكتبة الانجلو المصرية

جعله ينفعل لأثره ويستسلم له ، ولذلك فإنه يسعى إلى تكبير
رسالته حسب أصناف الذين يخاطبهم (١) .

ويستفاد من هذا ، أن بنا * الأسلوب سواء على مستوى الجملة ،
أو العبارة ، أو الفقرة ، يخضع لطبيعة هذه العناصر الثلاث المكونة
للجهاز الإبلاغي ، فيصاغ وفقاً لحالاتها .
وقد عرفنا طبيعة بنائه ليوافق طبيعة الباث ، والرسالة ، فعماذا تكون
طبيعته ليوافق طبيعة المتلقي وحالاته ؟
مما لا شك فيه ، أن طبائع المتلقين تختلف ، ودرجة إدراكهم تتفاوت ، فقد
يكون المتلقي فظناً يفهم بالإشارة واللمحة ، وقد يكون غيبياً يستدعي افهامه
حديثاً مطولاً ومكرراً ، كما قد يكون عنيداً يتطلب إقناعه جملاً كثيرة
واضحة لا تحتمل تأويلاً .

وكان الخطيب من العرب يفتن في كلامه ويلون في أساليبه ، " فيختصر
تارة لإرادة التخفيف ، ويطيل تارة لإرادة الإفهام ، ويكرر تارة لإرادة
التوكيد ، ويخفي بعض معانيه حتى يفض على أكثر السامعين ،
ويكشف بعضها حتى يفهمه بعض الأعجمين ، ويشير إلى الشيء ، ويكني

(١) - أبو الحسن حازم القرطاجني : منهاج البلغاء وسراج الأدباء - تحقيق :

محمد الحبيب بن الخوجة - دار الغرب الإسلامي - بيروت - ط ٢ - ١٩٨١

عن الشيء • وتكون عنايته بالكلام على حسب الحال ، وقدر الحفل ،
وكثرة الحشد ، وجلالة المقام ^(١) .

١- الإيجاز وأسلوب السرد القصصي في القرآن

لقد لاحظنا فيما يتصل بالحدث أن السرد القصصي يوجز في مواطن
وسهب في مواطن أخرى ، ولما كان الإيجاز والاسهاب عملا من وظائف
اللغة ، كما أنه يدخل في حقلها وطبيعتها ، إلى جانب ملكات
المتلقين الذين قد يكونون من أهلها ، أو من التابعين لهم ، فإن
المسألة تحتاج لإيضاح ، يقول أبو هلال العسكري : " قد رأينا
الله تبارك وتعالى إذا خاطب العرب والأعراب أخرج الكلام مخرج
الإشارة والوحي ، وإذا خاطب بني اسرائيل أوحى عنهم ، جعل الكلام
مبسوطاً ، وقلما نجد قصة لبني اسرائيل في القرآن إلا مطولة
مشروحة ، ومكررة في مواضع معادة ، لبعده فهمهم وتأخر معرفتهم ^(٢) ،
وذلك ، فيما نعتقد ، لكونهم لاسليقة لهم كالعرب ، وليسوا في
حكمهم من البيان •

وفي هذا القول إشارة إلى أن العرب كانوا يستحسنون الكلام الموجز

(١) - ابن قتيبة : تأويل مشكل القرآن : ص ١٣

(٢) - أبو هلال العسكري : الصناعتين - مطبعة محمود بك - الاستانة -

ويفضلونه على غيره من أنواع الأساليب ، حتى أنهم جعلوا
البلاغة معادلة للإيجاز ، إذ نجد خطيب العرب ، أكثم بن صيفي
يقول : " البلاغة الإيجاز " (١) .

ولقد اختصروا كلامهم وأخرجوه في صورة مكثفة ، مبرقة ، وموحية ،
تتعاقب على ذهن بسرعة كوميضات البرق . وهذا اللون من الكلام
يتطلب من المتلقي أن يكون سريع البديهة ، لبيباً بالإشارة يفهم (٢)
وكانت قريش أشد العرب فهما وذكاء ، وأحدهم منطقاً وكلاماً . ومقائهم
وهم كذلك ، يقتضي مقالاً مناسباً ، واللغة الجديرة بهذا المقام
هي لغة الإيجاز ، ولغة التكثيف والإبراق .

والقرآن الكريم الذي نزل معجزاً لهم ، راعى فيهم هذه الخاصية ،
فجاء أسلوب ما نزل بمكة متمشياً مع العادة الأسلوبية المتفشية
فيهم ، فتفوق عليهم ، إذ يقول الرسول (ص) : " أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنِّي قَدْ
أُوتِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ وَخَوَاتِيمَهُ ، وَأَخْتَصِرُ لِي أَخْتَصِرًا " (٣) .

(١) - السيد أحمد الهاشمي : جواهر البلاغة - دار الفكر بيروت - ١٩٧٨ - ص ٢٢٤

(٢) - قال أبو العباس : من كلام العرب الاختصار المفهم ، والاطناب المفهم ،

وقد يقع الإيما إلى الشيء فيعني ذوي الالباب عن كشفه . انظر :

- المبرد : الكامل ج ١ - دار الفكر - ص ٢٢

(٣) - جوامع الكلم : هي هذا النوع من الإيجاز الذي يكتفي فيه بالفاظ

قليلة ، لكن سليمة من كل حذف لبلوغ أشمل المعاني وأبعدها تصورا في

ولكي نتبين ظاهرة الإيجاز في أسلوب السرد القصصي في القرآن ، لابد أن نرتكن الى أمثلة .

ومثالنا الأول من سورة الفجر ، حيث عرضت أحداث قصص ثلاث في آيات قليلة ، لاتتعدى الثمانية^(١) ، تشترك جميعا في المقدمة ، " أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ " ، وتستقل كل من القصص الثلاث بعدد قليل من الجمل والكلمات فلقد عبر عن قصة " عاد " بجملتين تتركبان من عشر كلمات ، " بَعَادِ يَارَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلَهَا فِي الْبِلَادِ " ، كما عبر عن قصة ثمود بجملته واحدة تتركب من خمس كلمات ، " وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ " . وفي هذا السياق الوجيز ، عبر عن قصة فرعون المتلاحقة الحلقات التي سبق أن لمنا طولها وملحميتها ، بجملته واحدة تتكون من ثلاث كلمات ، " وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ " ، على أن هذه الجملة الوجيزة دالة في ذاتها ، بل انها تثير كل حلقات السيرة الطويلة في المتلقي ، لاسيما بما تحمله الاضافة المعرفية الجديدة المتمثلة في " ذِي الْأَوْتَادِ " .

== في الخواطر والأنمان ، بحيث لا يبقى لأحد بعد إطلاقها الأمل في احراز أقل منها لفظا ، ولا أكثر منها معنى . انظر :

محمد الصغير بناني : النظريات اللسانية عند الجاحظ - ديوان المطبوعات

الجامعية - الجزائر - ١٩٨٣ - ص ٢٦٧

(٣) - ابن كثير : تفسير القرآن العظيم - م ٤ - ص ٧

(١) - سورة الفجر : من الآية ٦ الى الآية ١٣

ومن الواضح أن القرآن أعطانا مع السرد " صورة حضرية متمكنة من
المادة" (١) ، فعاد أنشأت إرم ذات العماد ، وثمود " قطعوا الصخر بالسواك
(٢)
لكي يعملوا منه البيوت والتماثيل " ، وفرعون عمل الأنصاب .

وفي هذا، إشارة للتفوق الحضاري الذي أحرزته هاته الأقوام فأطفاها .
إن " من الإيجاز ما يأتي بالإشارة والإيحاء" ، وهذا معدود في أنواع
البلاغة ، لأن نفس السامع تتسع في الظن والحساب" (٣) ؛ ذلك
أن عدم التفصيل يدعو العقل الى النظر والتفكير في ما عرض عليه من
أمر بنوجه عام ، فيتحول بذلك المتلقي من طرف سلبي متلق فقط ،
الى طرف إيجابي يؤكّد حضوره بكثافة في جو الخطاب المبعث اليه .
ومن هذا اللون الذي اقتصر فيه السرد على عرض الأحداث بصورة موجزة ،
مانفَع عليه في سورة الحاقة ، حيث وردت فيها " مجموعة من أخبار
التاريخ وقصص الماضي ، معروضة عرضاً سريعاً قوياً موجزاً" (٤) .

(١) - الشيخ محمد متولي الشعراوي : تفسير سورة الفجر - مكتبة القرآن -

١٩٧٩ - ص ١٠٠

(٢) - نفسه : ص ١٠٠

(٣) - الكلاعي ، الملقب : بذي الوزارتين - احكام صنعة الكلام - تحقيق :

محمد رضوان الدايدة - دار الثقافة - بيروت - ١٩٦٦ - ص ٩٣

(٤) - انظر القصص في سورة الحاقة ، من الآية ٤ الى الآية ١١ .

(٥) - محمد المبارك : دراسة أدبية لنصوص من القرآن - دار الفكر

بيروت - ص ٣٠

لقد استعمل السرد هذا العرض بذكر قصة عاد ، فأتبعها بقصة ثمود ،
 فقصة لوط ، فقصة فرعون ، فقصة نوح ، وأشير في كل منها إلى صورة
 الهلاك التي أصابت القوم ، جزاء عصيانهم رسل الله ، فثم خمس
 قصص عرضت في ثمان آيات مكثفة المحتوى ، مقصد فيها بحكمة ،
 على أن كل لفظة منها تعد رمزاً دلاليّاً وإشارةً تشير كل تفاصيل
 الحشد اللفظي ، على افتراض أننا جعلناه معبراً بديلاً عن القول
 الموجز .

لقد تمكنت الآيات القلائل من تحقيق وظيفتين اثنتين في آن واحد ،
 حيث أدت ما يؤديه الكلام عادة ، وهو إبلاغ الرسالة الدلالية ،
 وفي الوقت ذاته سلطت تأثيراً ضاعطاً على المتلقي ، تمكّك في
 تحذير المشركين من أن يصيهم ما أصاب الأمم التي احتملها السرد
 الوجيز .

ولقد نتج هذا التأثير ، فيما نعتقد ، منه عاملين : أولهما ، اختيار
 الإيجاز في ذاته وسيلة للقص ، بهدف التحذير والإنذار ، وثاني العاملين ،
 انتقاء العناصر المسرودة ذاتها التي قد تكون ، كما سبق أن أشرنا ،
 جاهاً ومادة ، غير أنها الجاه والمادة من اللون الذي لم يُغْنِ فتيلاً أمام
 نكال الله وعقابه ، وذلك " لتحفظها كل أذن ، فتكون عظة لمن يأتي
 بعد (١)

ان الخصائص الاسلوبية التي اتسمت بها المجموعة القصصية في سورة
 الفجر، وفي سورة الحاقة ، يمكن أن نسحبها على قصة الفيل ؛ فلقد
 أوجز السرد أحداث القصة في خمس آيات ، حيث بدأها الخالق بسؤال يثير
 الاهتمام ، ويقرر خبراً كان معلوماً عند القوم ، هو ما حدث لجيش أبرهة ،
 وكان النبي (ص) " يعلم علماً كالمشاهد المرئي ، لتواتره وقرب عمده
 به " ، ولذا لم يجئ في السرد مجيء الخبر المفصل ، حتى لا يكون
 حديثاً معاداً ؛ فلقد وصف الجيش والعتاد الحربي في كلمتين فقط ،
 هما : " أصحاب الفيل " ، وفيهما من البلاغة والإيجاز ما يجعل عن الوصف ،
 ثم بعد ذلك جاء السرد بنهاية الأحداث في البداية ، مع الإبقاء على
 مسببات هذه النهاية ، حتى تبقى الإثارة مستمرة ومتزايدة ؛ لفصل
 الفعل المذكور المتعجب منه بقوله (٢) : " أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ
 فِي تَضَلِيلٍ " .

لقد عبر عن النهاية بثلاث كلمات هي في غاية الوضوح والإبانة ؛ إذ
 يتعرف المتلقي فيما على أن أصحاب الفيل قد ارتد إليهم كيدهم
 فهزموا . وتسرد إثر هذه الجملة تفاصيل المعجزة الالهية التي

(١) - سورة الفيل : من الآية ١ الى الآية ٥

(٢) - النيسابوري : غرائب القرآن و غائب الفرقان - المطبوع على هامش

الطبري - م ١٢ - ج ٣٠ - ص ١٦٥

(٣) - نفسه : ص ١٦٦

كانت وراء انهماج جيش أبرهة في ثلاث آيات قصيرة ومركزة، " وَأَرْسَلْ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ ، فَجَعَلْنَاهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ " (١) وهكذا فقد اختزل السرد أحداث هذه القصة في ثلاث وعشرين كلمة، وحولها إلى " برقية " عليها " أن تَفْصِحَ عن الكثير بأقل ما يمكن من الرموز الدلالية ؛ فتم بذلك التوافق والتلاؤم بين الأسلوب والموضوع المعالج ؛ حيث عبر عن موضوع معروف بأسلوب موجز مختصر مشير ومنبه .

ولقد ساهم في روعة هذا الأسلوب ما شجنت به كلماته من توقيع موسيقي موجز، إلى جانب ما احتوته من كثافة في الدلالة .

ونجد هذه الخصائص الأسلوبية كذلك، في القصص المذكورة في سورة القمر ، وسورة الذاريات ، وسورة الفرقان .

ان السرد في بعض الأحايين يكتفي بذكر ماله علاقة بفرض العرض وقصده ، فيوجز فيما يعرض ، ويعدل عن التفصيل بقصد تركيز الزمن على قضية واحدة دون تشتيته بيس أنواع منها .

ومن اللون الذي ذكرناه ، تلك الصورة التي جاءت عليها قصة موسى عليه السلام، في سورة الفرقان ، إذ يقول تعالى : " وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ ،

وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيْرًا ، فَقَلْنَا أَنهْبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا
 بِآيَاتِنَا ، فَدمَرْنَاهم تَدْمِيرًا^(١) ، فلقد اكتفى السرد في هذه القصة بذكر
 " حاشيتي القصة ، أولها وآخرها ، لأنهما المقصود من القصة بطولها ،
 أعني الزام الحجة واستحقاق التدمير بتكذيبهم^(٢) ، وكان يمكن أن تأتي
 على هذه الصورة ، فقلنا انهبا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا ،
 فذهبا اليهم ، فكذبوهما فدمرناهم تدميراً ، ولكن الغرض من العرض
 هو الذي أوجب حذف جواب الأمر في هذه القصة .

ان توفير العناية لمعنى بعينه أحيانا هو الذي يوجب حذف ما حقه
 أن يثبت ، حتى يتجه الاهتمام الى الشيء المذكور ، حيث يسكون
 " ترك الذكر أفصح من الذكر ، والصمت عن الفائدة أزيد للافادة ،
 وتجذب أنطق ما تكون اذا لم تنطق ، وأتم ما تكون بيانا اذا لم تبين^(٣) ،
 مثال ذلك ما جاء في حادثة السقي لبنتي شعيب من قبل موسى عليه السلام ؛
 إذ قال تعالى سارداً وقائعا : " وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً
 مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ ، وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ، قَالَ مَا خَطْبُكُمَا
 قَالَتَا لَأَنسِقِي خَتِّي بِصَدِيرِ الرِّعَاءِ * ، وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ، فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ

(١) - سورة الفرقان : ٣٥ ، ٣٦

(٢) - ابن الأثير ضياء الدين : المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ج ٢
 تحقيق : د. أحمد العوفي ، د. بدوي طبانة - منشورات دار الرفاعي بالرياض

ط ٢ - ١٩٨٣ - ص ٢٢٨

(٣) - عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز - ص ١٧٠

تَوَلَّى إِلَى الطَّلِّ (١) .

لقد حذف المفعول من أربعة مواضع ، كانت الأفعال فيما متعددة
وتحتاج إلى مفاعيل ، فالأفعال الأربعة : (يسقون ، تذودان ، نسقي ، سقي)
حذفت منها هذه المفاعيل ، وكان الأصل أن تأتي العبارة على هذه الصورة ،
" وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ أَغْنَاهُمْ أَمْوَالُهُمْ ، وَأَمْرَاتَيْنِ تَذُودَانِ
غَنِمَهُمَا ، وَقَالَتَا لِنَسْقِيَّ غَنِمْنَا ، فَسَقَى لهُمَا غَنِمَهُمَا " (٢)

ان المفاعيل قد حذفت هنا للتركيز الاهتمام على الفعل ، بحيث يدرك المتلقي
أن الناس كانوا يسقون ، وأن الأمراتين كانتا تذودان ، ولم تنظيما
القيام بفعل السقي ، الأمر الذي دفع موسى عليه السلام ، إلى القيام
بهذا الفعل دون ذكر الحيوانات المسقية ، لأن ذلك خارج عن الهدف ،
ولم تذكر المفاعيل التي لم تكن مجال الاهتمام ، لأنه لا داعي إلى معرفة
ماهية الماشية التي تسقى ، أو التي تزداد ، وإنما كان الغرض هو
معرفة الفعل ، وكيف تم .

لقد كان بذلك حذف مفعول كل فعلك من الروعة والحسن بمكان ، " لأن
في حذفه وترك ذكره فائدة جلييلة ، وأن الغرض لا يصح إلا على تركه " (٣)

(١) - سورة القصص : ٢٣ ، ٢٤

(٢) - انظر : عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز - ص ١٨٢

(٣) - نفسه : ص ١٨٢

وبهذه الكيفية المعجزة في السرد ، يرغم المتلقي على التفكير فيما وراء الألفاظ ، حتى يندمج مع أحداث القصة ، ويعيش معها بنبض إحساسه وكامل تفكيره .

ومثال الإيجاز بالحذف لغرض بلاغي ، ما نقف عليه في قوله تعالى قاصّاً :
 أَنَا أَنبِئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ، يَوْسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ
 سِمَانٍ يَا كَلْمَنَ سَبْعِ عِجَافٍ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضِرٍ وَأَخْرَجَ يَابِسَاتٍ (١) ، فقد
 اقتطع السرد أكثر من جملة ، واستغنى عنها ، لما في السياق من دلالة
 على المعنى المحذوف ، بحيث إن المتلقي حين يقرأ قوله تعالى : " يَوْسُفُ
 أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ ... " ، ينصرف إلى ذهنه مباشرة
 أن الذي نجا من السجينين قد سُمِّحَ له باستفتاء يوسف وهو معه الآن
 يستفتيه ، وحذفت هذه اللحظة من السرد لعدم فاعليتها في الحدث ومساهمة
 ومن الخذف في السرد أيضاً ما نستبطن من قوله تعالى : " فَأَوْحَيْنَا
 إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ ، فَانْفَلَقَ (٢) ، فقد حذفت الجملة المقدره
 (فرضه بعصاه) ، وذلك لسبب مذكور هو قوله : (فانفلق) ، إذ تَنَبَّهُ الفكر
 إلى أن الضرب قد تمَّ من قبل موسى عليه السلام ، وإلا ما كان لينفلق ، وكان
 من عادة العرب إنما تحذف من الكلام ما يدل عليه ما يظمر (٣) .

(١) - سورة يوسف : ٤٥ و ٤٦

(٢) - سورة الشعراء : ٦٣

(٣) - ابن قتيبة : تأويل مشكل القرآن - ص ٢١٩

وهكذا فقد صور السرد الطرف الحرج الذي تحسب فيه كل لحظة على موسى وعلى من معه ، وأثبت في هذا التركيب سرعة استجابة البحر ، كما كان للبحر أن يعصى أو أن يكون عقبه ، وما كان لفرعون نفسه أن يشكك هذه العقبة ، ولكن الله يملي لمن يشاء ، وكأن السرد يريد أن يفرق المتلقي بما يعنيه من أمر العبرة دون أن يوجهه الى مظاهر الطبيعة التي تطيع الله طوعاً أو كرهاً .

ومن الإيجاز قوله تعالى : " فَكُلْنَا أَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ ، فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ^(١) " ، فلقد عقب الانفجار الضرب بدون مهلة ، لينقذ بني اسرائيل من العطش الذي جاق بهم ، إذ عبر التركيب اللغوي بهذه الصورة عن الفعل تعبيراً دقيقاً يتوافق مع الموقف الخطير الذي لا يحتمل تأخير فعل السقي والإرواء وإنهاب العطش . إن الاختزال في أساليب القصة هو نحو من البناء السردى الذي يفجر الامتاع الذهني عند المتلقي ، بنحو بالغ المدى ، إنه يجعل المتلقي مغمماً في الكشف الفني ، مفجراً تنقلاته الفكرية هنا وهناك ، مثرياً ذهنه بربط شذرات الأحداث ، واللين لتداعياتها .

٢- البسط وأسلوب السرد القصصي في القرآن

وقفنا على اللون الأول الذي يعد من مميزات أسلوب السرد القصصي في القرآن ، وهو الإيجاز ، وسنقف على لون آخر من الأساليب ، يتخذ البسط والشرح والاعادة منهجاً .

ونبدأ بملخص نجزئه منقول بلاغي عربي ، مما يمكن أن يوضح مواطن البسط والاسهاب ، ان نجده يقول : هي " ما يكتب به إلى عامة ، وتقرع به آذان جماعة ، كالصلح بين العشائر ، والتخفيف على الحرب ، والتحذير من المعصية ، والترغيب في الطاعة ، وغير ذلك مما له بال ، فحينئذ يجب على الكاتب أن يبدي ويعيده ، ويحذر بالتكرير ، وينذر بالترديد ، ولتكون رقى مواعظه أولج في المصامع وجبته أظهر على مختلف الأقسام والطبائع " (١) .

ويظهر هذا اللون من الأسلوب في القصص التي توضح العقائد الجديدة بحيث تحاول أن تضع الحقائق الواضحة المتميزة أمام كل ذي عقل وإحساس ، " ليستفيق من غشيته وليحس إحساساً بما هو فيه من ضلال " (٢) .

(١) - الكلاعي : احكام صنعة الكلام - ص ٩٠

(٢) - د . محمد أحمد خلف الله : الفن القصصي في القرآن الكريم - ص ٣٠٤

فيكون ذلك دافعاً للعدول عن الأسلوب القصير إلى الأسلوب المرسل المشحون بالبرهان والدليل ، حتى يأخذ الطرف الثاني بالحجة والدليل . ولتوضيح ماسلف ، نأخذ مثلاً محاوره موسى لفرعون حول الألوهية ؛ فلقد وردت هذه المحاوره في سورة الشعراء* ، في قوله تعالى : " قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ، قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ، قَالَ لِمَ حَوَّلَهُ آلَا تَسْتَمِعُونَ ؟ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ ، قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ، قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ " (١) .

إن في جواب موسى حين قال : " رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا " استيفاءً لكل ما خلف الله في هذا الكون ، ودلالةً على عظمة الله ، ولكن لما كان موقف فرعون ومن معه موقف المتعنت المعاند ، حاول موسى أن يقرب إلى أذهانهم دلائل عظمة الله ، فذكر لهم أنفسهم وآبائهم فقال : " رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ " ، والدلائل المذكورة هي دلائل أقرب المنظور من العاقل ، وهي من البراهين على الصانع الخالق ، وهذا الدليل لم يتفطن اليه فرعون وما عطف عليه ، الأمر الذي استدعى توضيحا أكثر ودليلا آخر تحصل مشاهدته ومعاينته كله يوم ، حتى لا تترك

(١) - سورة الشعراء* : من الآية ٢٣ إلى الآية ٢٨

فرصة للمعاندين يتعللون بها ، فقال لهم " رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا
بَيْنَهُمَا يَأْتِيَنَّكُمْ تَعْقِلُونَ " (١) .

وهذا البرهان " من أظهر ما استدل به " (٢) ، لأن طلوع الشمس وغروبها
من الوسائل المادية الحسية التي يرى حركتها فرعون وملؤه ، ويجنون
بحرارتها ويرون نورها في النهار ، ويدركون غروبها بحلول الظلام ، إلى
غير ذلك ، فهذه الحركة الدائبة هي من آيات الله الخالق الذي يدعو
إلى عبادة موسى . وليس هناك دليل أعظم وأقرب إلى الإنسان من
نفسه ومحيطه .

إن تفصيل القول في هذا الموقف كان يهدف إلى توضيح الأمر وتقريبه من
نفوس المعاندين لعلمهم يستجيبون ، فكان بذلك في غاية الدلالة ومنتها
الإيفاء .

وكان لهذا التفصيل دور خطير في تأزم الصراع وتطوره ، وفي تحويله
من مجاله الفكري إلى مجال مادي حركي . ويدعم رأينا ، في مثال آخر ،
تلك الحجج والتوضيحات والدلائل التي حشدتها إبراهيم عليه السلام
لإظهار عظمة الله وأحقيته بالعبادة وحده ، حيث قال بعد حوار

(١) - سورة الشعراء : ٢٨

(٢) - الزمخشري : الكشاف - م ٣ ص ٣٠٨

وانظر كذلك ، د . محمد يوسف موسى - القرآن والفلسفة - دار المعارف -

مصر - ط ٣ - ١٩٢١ - ص ٥٥

لأبيه وقومه : " أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ
 فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي ، إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ، وَالَّذِي هُوَ
 يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ، وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ، وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ
 وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ " (١) . وكان يكفي إبراهيم عليه
 السلام ، أن يتبرأ من آلهتهم وينتسب إلى الله رب العالمين الذي أفرده
 بالمحبة ، فيكون المعنى سليماً وافياً ، ولكن السياق الذي جاء فيه
 القول ، كان يتطلب تفصيلاً ، فلقد عاتب إبراهيم قومه من قبل ، على
 عكوفهم على عبادة أصنام لا تضر ولا تنفع ، وعندما انتقل إلى الحديث
 عن الله رب العالمين ، استوجبه ذلك ذكر ما يميز به ربه عن آلهة قومه
 فعدد بعض فضل الله عليه التي تعد دلائل وآيات على قدرة الله
 والتي تهدي كل ذي عقل متدبر إلى إدراك وجود الله ، فذكر الخلق
 والهداية ، والإطعام ، والإسقاء ، والأمراض ، والإشقاء ، والإمامة ، والإحياء ،
 والمغفرة ، التي هي من خصائص الله سبحانه وتعالى ، والتي لا تستطيع
 فعلها آلهتهم .

وهكذا فقد كان التفصيل مطلوباً أمام هذا الموقف الاستدلالي لى تبين القوم
 الحق من الباطل ، ويتيقنون ممن تحقق له العبادة ، أأ لله خير أم ما
 يشركون .

(١) - سورة الشعراء : من الآية ٧٥ إلى الآية ٨٢

ومن هذا اللون الذي يتخذ البسط منهجاً، ما استعمل به السرد قصة

موسى في سورة القصص، حيث يقول تعالى: "إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ،

وَجَعَلَ أَهْلًا شِيْعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يَذِبحُ أبنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي

نِسَاءَهُمْ، إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ" (١)، فالسرد في هذه المقدمة قد

أجمل أولاً، ثم فصل بعد ذلك، فلقد أجمل في قوله تعالى: "إِنَّ فِرْعَوْنَ

عَلَا فِي الْأَرْضِ"، ثم فصل ما أجمل في قوله تعالى: "وَجَعَلَ أَهْلًا شِيْعًا

يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يَذِبحُ أبنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ"، فوضّح العلو

في الأرض، باستضعاف خلق الله، من تقسيمهم إلى شيع، يسلط على بعضها

أساليب القمر والعذاب، وذلك بذبح الولدان، وسبي النساء، وهي

جرائم شنيعة في حق خلق الله، "لأن النفوس لا تطمئن على هذا الظلم،

والقلوب لا تقر على هذا الجور" (٢).

إن فرعون للأسباب المذكورة عدّ من المفسدين، واستحق بذلك أن يسوّخذ

ويعاقب وتنزع منه السلطة التي حولته إلى جبار.

ويستفاد من هذا، أن التفصيل اللفظي كان لغرض حدسي نتيجه عندما نعلم

حكم الله بعد ذلك، وهو الحكم الذي يقرر توريث الأرض لأولئك المستضعفين

(١) - سورة القصص: ٤

(٢) - الباقلاسي: اعجاز القرآن - تحقيق: السيد أحمد صقر - دار المعارف

الذين استذلهم فرعون وجنوده ، " وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُوا
فِي الْأَرْضِ ، وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ، وَنَمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ
وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ " (١) .

بانه لتبرير هذا القرار ، أورد السرد جملة من الأسباب توضح جرائم
فرعون، وعلوه، واستكباره، وتجبره ، وإفساده في الأرض ، والجملة هذه استوجبت
بإزاحته من مهمة الاستخلاف ، فوافق الأسلوب المفصل طبيعة الموضوع
الذي يتطلب الإفادة، والإقناع ، والشرح ، ليتبين السبب الموجب للقرار .
والتفصيل يظهر بصورة جلية في حال تستوجيه حقاً ، كذلك التي سُئِلَ
فيها موسى عليه السلام ، عما يمسك بيده ، فقال : " هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ
عَلَيْهَا ، وَأَهْتَشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي كَوَلِيٍّ فِيهَا مَآرِبٌ أُخْرَى " (٢) .

لقد كان رد موسى مجملاً في قوله : " هي عصاي " (٣) ، وكان يكفي كجواب
على السؤال الموجه إليه ، ولكن السرد عدد جملة من المنافع والوظائف
التي تنمض بها العصا ، أو تستخدم فيها ، وهي وظائف ليست خاصة
بها وحدها ، بل " تشترك فيها مع بنات جنسها من العيدان " (٤) ، وكان

(١) - سورة القصص : ٥

(٢) - سورة طه : ١٨

(٣) - ان الأداة (ما) في قوله تعالى : " وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى ؟ " هي

ما يستفسر به عن الجنس ، ولكن موسى في جوابه زاد ، فذكر المبتدأ ، وأضاف

العصا ، وبسط الكلام ، وهذا نوع من الاسهاب المطلوب .

(٤) - الزمخشري : الكشاف - م ٣ - ص ٧٥

تقسيم الفصل الاول

ان الأسلوب في السرد القصصي في القرآن يختلف من حيث الطول والقصر، باختلاف الموقف الذي يعبر عنه ، فلقد وجدناه يمتاز بالقول السريع الخاطف ، القائم على قصر الجمل والتوقيع الموسيقي في آخر الفواصل ، إذا كان الموقف انفعالياً^(١) ، وذلك للتأثير على المتلقي ، بإمطاره بوابيل من الجمل القصيرة الموقّعة توقيعاً موسيقياً ، على أن يشحن السياق القصير باضافات ذات دلالة منهجية لحكمة معينة .

بان هذه الخاصية تعد ميزة لتلك القصص التي عرضها القرآن في بداية المرحلة الأولى للدعوة الاسلامية ، حتى يكون التأثير بها على عواطف المتلقين أشد في تلك المرحلة ، نظراً لما كانت تتسم به طبيعة العرب من ميل لاسلوب الموجز الموقّع ، وتفضيله على غيره من أنواع الأساليب^(٢) ، حتى أنهم جعلوا البلاغة معادلة للإيجاز .

ولقد وجدنا أسلوب السرد القصصي في القرآن يتسم أيضا بالبسط والاسترسال

(١) - ان العنصر الانفعالي يساهم مساهمة واسعة في لفت الانتباه ، فإثارة انفعال معين هو أفضل السبل لجذب الانتباه .

انظر في هذا المجال ، ابراهيم الخطيب : نظرية المنهج الشكلي - مؤسسية الابحاث العربية - بيروت - ط ١ بالعربية - ١٩٨٢ - ص ١٧٨

(٢) - د . عبد المالك مرتاض : النص الأدبي من أين وإلى أين ؟ ص ٧٨ ، ٧٩

وذلك حين يكون الموقف يتطلب التوضيح والابانة والاقناع ، ولا يتم الا

بهذه الوسائل .

ولاحظنا بأن هذا اللون من الاسلوب تمتاز به القصص التي توضح

التكاليف الجديدة ، أو تخاطب بني اسرائيل أو تتصل بهم ، فالسارد

يشاء أن يضع الحقيقة المفصلة أمام أعين كل ذي عقل مستنير

ليتبين الحق من الضلال ، فهو يبسط الحديث في الموضوع حتى تكون

مواظبه والجة في نفس المتلقي ، وحججه ظاهرة لمختلف الأفهام

والمشارب .

وذلك حين يكون الموقف يتطلب التوضيح والابانة والاقناع ، ولا يتم الا

بهذه الوسائل .

ولاحظنا بأن هذا اللون من الاسلوب تمتاز به القصر التي توضح

التكاليف الجديدة ، أو تخاطب بني اسرائيل أو تتصل بهم ، فالسارد

يشاء أن يضع الحقيقة المفصلة أمام أعين كل ذي عقل مستنير

ليتبين الحق من الضلال ، فهو يبسط الحديث في الموضوع حتى تكون

مواعظه والجة في نفس المتلقي ، وحججه ظاهرة لمختلف الأقسام

والمشارب .

الفصل الثاني

التناسب بين الجهل، والسرد القصصي
في القرآن

- تمهيد
 - الربط العقلي
 - الربط اللفظي
 - تقويم الفصل
-

تمميد
xxxxxxxx

ان التأليف بين الأشياء* ، في الأدب والفن ، هو مطلب كل مبدع ، ومبتغى كل صاحب صنعة ؛ إذ هو المقياس الدقيق الذي به تقاس مراتب البراعة ودرجة الذوق في تلك الابداعات والفنون ، خصوصاً في الفنون ذات الألوان والعناصر الكثيرة ، فإن تعديل المزاج وتقويم النسق بينهما أشد إغنائاً وأقصى تكليفاً من اللون الواحد ، أو العنصر المنفرد حيث يتطلب مهارة عالية وخبرة واسعة في مجال الفن ، ودوقاً رفيعاً في كيفية التنسيق .

ولقد أرجع النقاد قديماً وحديثاً ، الجمال في الأشياء كلها إلى ما بين عناصرها من علائق وانسجام ، سواء كانت هذه الأشياء خبيثة أم عقلية ، فمثلاً ، نسجل اتفاق " ريتشاردز " و " كوليردج " على مفهوم التناسق ؛ إذ تبدو خلاصة رأيهما في أن التناسق رهين بقبول العناصر المختلفة للتعاضد فيما بينهما ، " وأن الشاعر يحقق التوازن بين الكيفيات المتناقضة ، فهو يخلق عالماً يأتلف من انسجام الوحدة والتنوع ، وتوافق الكلبي العام " (١) .

ويسعي عزالدين اسماعيل أن الفلاسفة والنقاد يرون أن علة كل جميل

(١) - د . مصطفى ناصف : مشكلة المعنى - مكتبة الشباب - القاهرة -

اتساقه وتناسب عناصره ، حتى أن الصورة الجميلة هي في الواقع نتيجة لتشابك أجزائها في علاقات فيما بينها ^(١) ، وبذلك يعود تفضيل شيء على شيء إلى مدى تناسق أجزائه وتآلفها ، ويرجع فضل قطعة أدبية على أخرى إلى النظم ، أي وضع الكلمات والجمل بعضها مع بعض الموضع الذي يقتضيه المقام .

ويرى عبد القاهر الجرجاني ، أن " ليس الغرض بنظم الكلم أن توالي ألفاظها في النطق ، بل أن تناسقت دلالاتها ، وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل " ^(٢) . وهذا القول يتصل ، كما هو واضح ، بمحاولة فهم اعجاز القرآن .

إن الغرض كذلك من نظم الجمل ليس بترتيبها دون رابط ، بل " هو نظم كل جملة مع أختها بالنظر إلى الترتيب ، بحيث ترتبط كل جملة في الأسلوب بأخواتها ، فتكون آخذة بحجزة ما أمامها متصلة بما " ^(٣) .
معنى ذلك أن نظم الجمل قائم على إيجاد العلائق بين ما أنتجه نظم

(١) د. عز الدين اسماعيل : الأسس الجمالية في النقد العربي -

دار الفكر العربي - القاهرة - ط ٣ - ١٩٧٤ - ص ١٢٥

(٢) - عبد القاهر الجرجاني : دلائل الاعجاز - ص ٩٣

(٣) - البقاعي برهان الدين : نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ج ١

مخطوط رقم : ٢١٣ - تفسير - دار الكتب المصرية - ص ٣

الكلمات من جمل ، وليست هذه العلائق بين الجمل علائق أطراف وحواش
بل هي علائق في المضمون والمحتوى ، ذلك أن الحجرة واقعة وسط الشيء ،
والمضمون هو قلب الأسلوب ، فاذا أخذ كل عنصر بوسط العنصر الذي
يجاوره ، فإن العلائق تكون قوية ومتينة ، فتحصل بذلك قوة الأسلوب
وجماله وتناسقه .
والقرآن الكريم هو قمة الجمال ، وهو المثل الأعلى والنموذج الأمثل
للتناسق والتناسب .
وسنحاول ان شاء الله أن ندرس خصائص هذا الرباط التنيقي بين الجمل
والآيات في السرد القصصي القرآني .

الرابط بين الجمل

XXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXX

إن ذكر الجملة بعد الجملة الأخرى ، أو الآية بعد الآية ، لا بد أن يكون مرجعه إلى معنى رابط بينهما ، يجعل الكلام يأخذ بعضه برقاب بعض ، " فيقوى الترابط ، ويصير التآليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء " (١) وقد يكون هذا الرابط عقليا ، كما قد يكون لفظيا .

١ - الرابط العقلي

XXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXX

ومن أمثلة الرابط العقلي ، كما جاء في السرد القصصي في القرآن ، ما ورد في قوله تعالى : " وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ، أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ وَجَنَاتٍ وَعَيْوُنٍ " (٢) .
إن المراد من الجملتين هو التنبيه على نعم الله المبسوطة على قوم هود ، ولما كان المقام يقتضي الاعتناء بهذا الشأن ، فإن الجملة الثانية " أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ وَجَنَاتٍ وَعَيْوُنٍ " ، وردت لتفصل ما أجملته الأولى ، لكونها أوفى من سابقتها بتأدية المراد ، فنزلت بذلك من الأولى منزلة بدل البعض من الكل ، حيث إن الجملة الأولى " أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ " ، تشمل الأنعام وغيرها (٣) . وإنزال الجملة الثانية من الأولى منزلة جزئها الثاني

(١) - الزركشي ، بدر الدين محمد بن عبد الله : البرهان في علوم القرآن -

تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم - دار احياء الكتب العربية -

ط ١ - ١٩٥٧ - ص ٣٦

(٢) - سورة الشعراء : ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٤

(٣) - التفتازاني مسعود بن عمر بن عبد الله سعد الدين : شرح السعدي ج ٣

هو الدعامة التي أذنت باتصال الكلام ، وكانت الرابط العقلي بين الجملتين:

الأولى والثانية .

ومن هذا اللون الذي تقوم فيه العلاقة العقلية بدور الرابط ، قوله تعالى

" قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ، قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ

مُوقِنِينَ ، قَالَ لِمَ حَوْلَهُ أَلَا تَسْمَعُونَ ، قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ ، قَالَ إِنَّ

رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ، قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا

إِنَّ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ، قَالَ لَئِن أُتِخِذَتِ الْهَاءُ غَيْرِي لِأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ، قَالَ

أُولُو جِبْتِكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ، قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ " (١)

لقد ضمت هذه الجمل إلى بعضها دون وسائل الربط اللفظية ، وكانت العلاقة

التي ربطت بينهما هي ذلك السؤال المقدر بعد كل جملة أو قول .

إن مجيء الترتيب على هذا النمط ، إنما يكون على حسب ما يقع في أنفس

المخلوقين من السؤال ، فلما كان في العرف والعادة فيما بين المخلوقين

إذا قيل لهم بخل قوم على فلان ، فقالوا كذا ، أن يقولوا : فما قال

هو ؟ ويقول العجيب ، قال كذا ، أخرج الكلام ذلك المخرج ، لأن الناس خوطبوا

بما يتعارفونه ، وسلك معهم باللفظ المسلك الذي يسلكونه " (٢)

= المسمى : مختصر المعاني في علوم البلاغة - تحقيق : محمد محيي الدين

عبد الحميد مطابع المدني - مصر - ص ١٠

(٢) سورة الشعراء : من الآية ٢٣ إلى الآية ٣١

(٣) - عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز - ص ٢٤٤

وهذا التفسير والتفسير هو ما يمكن أن يعمل به في كل ما جاء فيه لفظ
" قال " على هذا النحو (١).

ومن هذه الامثلة التي لا يوجد بين جملها رابط لفظي ، ما جاء في قوله تعالى :
" كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ ، وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ " (٢)
لقد وردت هذه الآية عقب قوله تعالى : " أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ
دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ " (٣).

إن الحادثتين مختلفتان ، ولكن علاقة الكراهة وحدت بينهما ، وربطت بينهما ،
فلقد كره المسلمون خروجهم للقتال في غزوة بدر ، كما كرهوا الطريقة
التي وزعت بها الأنفال ، ولكن كما ظهرت النتيجة التي خرج من أجلها المسلمون
يوم بدر ، حيث ظفروا بالخير الكثير ، فكذلك يكون الخير في هذه
القصة ، " فليطيعوا ما أمروا به ، وابتعدوا عما نهوا عن ، " (٤)
وهكذا نستطيع أن نقول بأن ترتيب الجمل في سياق القرآن مخصوصا
تلك التي لا ترتبط مع غيرها بأدوات الربط المعروفة ، يقوم على
إدراك عقلي لطبيعة العلاقات بينها .

(١) - عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز - ص ٢٤٥

(٢) - سورة الأنفال : ٥

(٣) - سورة الأنفال : ٤

(٤) - محمد الصادق قماوي : الإيجاز والبيان في علوم القرآن مكتبة :

وهذا يتطلب تأملاً مستمرا في العلاقة العقلية بين الجملتين ، ومعرفة دقيقة لطبيعة العلاقات بين الجزء والكل ، بمعنى ، أن الدارس ينظر فسي الغرض الذي سيقست له السورة مثلا ، وينظر ما يحتاج ذلك من مقدمات ، وينظر عند انجرار الكلام في المقدمات إلى ما يستتبعه من استشراف نفس السامع إلى الأحكام او اللوازم التابعة له .

ب- الرابط اللفظي

xx

يستعين السرد القصصي في القرآن على ربط أجزاء نصه بأدوات الربط اللفظية ، إذا كان بينهما صلة في المعنى والمبنى ، مثل ذلك ، قوله تعالى : " فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرَ ، فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ، وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ، وَحَمَلْنَا عَلَى ذَاتِ الْأَوَاجِ وَهُمْ سَرِيحٌ ، فَجَرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ " (١) .

إن نظرة سريعة إلى هذا المثال تطلعنا على مجموعة من الجمل الفعلية القصيرة المتتالية ، المترابطة بحرفي العطف : " الفاء " (٢) و " الواو " (٣) . وَحَسْبُهَا فِي السِّيَاقِ الْقِصَصِيِّ عَلَى هَذِهِ الْوَتِيرَةِ ، يُوْحِي بِنَوْعٍ مِنَ السَّرْعَةِ ،

(١) - سورة القمر : من الآية ١٠ إلى الآية ١٤

(٢) - الفاء : تفيد الترتيب والتعقيب من غير تراخ .

(٣) - الواو : يفيد التثريك والترتيب والتعقيب .

انظر : عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز - ص ٢٣١

وانظر : السيد أحمد الهاشمي : جواهر البلاغة - ص ١٩٨

ذلك أن "الفاء" التي تفيد الترتيب والتعقيب من غير تراخ ، تتولى التوصيل في أربعة مواضع من بين ستة ، وهذه النسبة تفيد أن سرعة الأحداث وحركتها هي الصفة الغالبة على الصفات الأخرى ، فتوافقت بذلك الصورة البنائية مع الصورة المعنوية ؛ حيث عبرت الجملة الفعلية القصيرة المتعاقبة بسرعة ، عن الموقف الانفعالي الذي سرده القرآن .

لقد دعا نوح عليه السلام ربه وهو يتفجر غيظاً ، "إِنِّي مَفْلُوبٌ فَأَنْتَصِرُ" (١) ، وكان في دعائه هذا يطلب التعجيل بالانتقام ، حيث أتبع وصف حاله ، "إِنِّي مَفْلُوبٌ" بدعاء "استعجل يضر حدا لجبروت قومه ، فقالة "فَأَنْتَصِرُ" ، فعبر عن استعجاله بفعل واحد موصول مع الدعاء "بالفاء" العجلى ، يعلن فيه عن أهمية السرعة في تنفيذ النصر .

وأمام هذه الضراعة المستعجلة كان أمر الله حاضراً ، ففتح السماء بماء مَنَمِيرٍ ، وفجر الأرض عيوناً ، وساد الأرض كلها الماء الذي أغرق أهل الكفر . وعبر السرد عن سرعة التنفيذ التي لا تحتفل تراخياً أو مهلة بالفاء ، ليبدل على أن أمر الله حاضر ولا يكون منه التأخير أبداً .

ومما يجيء في هذا الباب ، قوله تعالى في قصة ولادة عيسى عليه السلام :

(١) - سورة القمر : ١٠

" فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَدَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ، فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ
قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نِسَاءً مَنِيًّا " (١) .

إن السارد قد جمع بين أفعال ثلاثة متتالية زمنياً ، بإداة ربط تفيده
الترتيب والتعقيب ، ليوحي بتتاليها ، دون التراخي في الزمن بين الفعل
الأول "فحملته" والفعل الثاني "فانتبدت" والفعل الثالث "فأجاءها" ،
وليدل على أن الحمل والوضع كانا متقاربين وقعا على الفور من غير
مهلة ؛ ذلك أنه لو كان حملها مثلك النساء* ومخاضها جاء بعد الفترة المحددة
للحمل ، لَتَمَّ الْعَطْفُ بِثَمِّ التي تفيد التراخي والمهلة .

ولما كان الحمل والمخاض وقعا في فترة زمنية متقاربة ، فإن العطف بين
الحدثين كان بالفاء التي تفيد التعقيب دون تراخي ، فتوافق بذلك المعنى
مع المعنى ، وعبر عن المدة الزمنية الفاصلة الوجيهة بين الحمل
والوضع بما يتلاءم معها ويتناسب .

ومما يدعم هذا الرأي المستنبط من التركيب اللغوي للأحداث ، قول ابن
عباس حينما سئل عن حمل مريم ، فقال : " لم يكن بين الحمل
والانتباز إلا ساعة واحدة ، وذلك لأنه تعالى لم يذكر بينهما فصلاً ، لأنه
قال : فحملته ، فانتبدت ، فأجاءها ، والفاءات للتعقيب (٢) ، هذا فضلاً

(١) - سورة مريم : ٢٢ ، ٢٣

(٢) - الطبرسي : مجمع البيان في تفسير القرآن م ٤ - ج ١١ - ص ٣٠

وانظر : ابف كثير : تفسير القرآن العظيم - م ٤ ص ٤٤٧

على أنه جعله مثل آدم ، حين قال : " إِنْ مَثَلَ عَيْسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ،
خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ " (١) .

والقول هنا أن خلق عيسى كان معجزة إلهية لم يحدث أن وقعت على
الأرض قبل عيسى إلا مرة واحدة عند خلق آدم من تراب . ولقد عبر الأسلوب
السري عن معجزة الحمل بلغة مركبة تركيباً يتناسب وسرعة الحمل
والولادة ، فكان بذلك معجزة لغوية متناسبة مع المعجزة الخلقية التي
أفصحت عنها صورتها .

وهكذا تعاضلت المفاسل وتمازجت المضامين في هذه القصة ، لتخرجها
في شحنة للمعنى فيها صورة في المبنى .

ومن اللون الذي تنوالى فيه الأفعال المعبرة عن الأحداث المتتالية ، والتي
تتولى الجمع بينها حروف العطف ، قوله تعالى : " وَرَأَوْدَتَهُ الَّتِي هُوَ
فِي بَيْتِهَا عِنْدَ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ " (٢) . ثلاث جمل فعلية
متتالية ، عبرت عن أحداث ثلاثة قامت بها امرأة العزيز .

هذه الأفعال تترتب بصفة منطقية من حيث الزمان ، فلقد طلبت امرأة
العزيز من يوسف تلبية نزوتها الجنسية ، ثم تلت ذلك بتمهيني الجو

• وانظر : القرطبي : الجامع لأحكام القرآن - ج ١١ - ص ٩٢

وانظر : الصاوي : حاشية الصاوي على تفسير الجلالين - م ٣ - ص ٣٤
(١) سورة آل عمران : ٥٩

(٢) - سورة يوسف : ٢٣

المناسب ، حيث غلقت الأبواب لتشييع الأمان في نفس يوسف ، وَأَتْبَعَتْ
هذا التهييء بتقديم نفسها له عن رضى واستسلام .

إن السرد في هذه الأحداث قد استعان بحرف العطف " الواو " ، الذي
" يفيد معنى الجمع ، فيعطف به اللاحق والسابق " (١) ، ليعبر عن تسلسلها
وتتابعها بصورة منطقية ومقبولة ، كما عبر عن الأحداث التي تليهما ،
بالكيفية نفسها ؛ حيث رتبها ترتيباً حسب حدوثها في الواقع ؛ إذ
جا هذا الترتيب على الصورة التالية ، " وَاسْتَبَقَا الْبَابَ ، وَقَدَّتْ
قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ ، وَالْفَيَا سَيِّئَهَا لَدَى الْبَابِ " (٢)

إِنَّ فِعْلَ الاستباق وقع من الطرفين ، امرأة العزيز ، ويوسف ، وَفِعْلَ قَدَّتْ
القميص كان من امرأة العزيز ، تريد به إعادة يوسف إلى الداخل ،
ومنعه من الخروج ، وَفِعْلَ الإلقاء كان من الطرفين أيضا ، لأنهما
كانا عند الباب حينما فتح .

لقد وردت هذه الأفعال مرتبة ترتيباً زمنياً ، وترتيباً مكانياً داخل
فضاء القصة ، على الصورة التي عرضتها . وتولى هذا الترتيب
حرف العطف " الواو " ، فيكون بذلك قد حقق التوافق بين الترتيب
الفعلي المعنوي ، والترتيب اللفظي البنائي .

(١) - الشريف قيسار : معاني الحروف في القرآن الكريم - المؤسسة
الوطنية للكتاب - الجزائر - ١٩٨٤ - ص ١٣٣

(٢) - سورة يوسف : ٢٥

ومن الأمثلة التي يتنوع فيها الربط بين أجزاء اللغة المكونة
 للنص ، ليتناسب المبنى مع المعنى ، ما نقرأ عليه في قوله تعالى :
 " وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ، وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ، وَالَّذِي يُمِيتُنِي
 ثُمَّ يُحْيِينِ " (١) .

إن الأداة المستعملة للربط بين الإطعام والإسقاء ، كانت هي " الواو " ،
 وذلك بقصد الجمع بين الفعلين ، وليس بقصد الترتيب أو التعقيب ،
 حيث أنه يمكن تقديم فعل الإسقاء على فعل الإطعام ، وهذا جائز ، لولا
 مراعاة حسن النظم (٢) . أما الربط بين المرض والشفاء ، فكان بالفاء
 التي تفيد التعقيب ، وهذا لأن الشفاء يعقب المرض بدون فراغ زمني
 بينهما ، أو من أحدهما . وتم الربط بين الموت والاحياء بالأداة
 " ثم " التي تفيد التراخي ، لأن الإحياء يكون بعد الموت بزمان ،
 ولذلك كان التعبير عن هذا التراخي بأداة تملك هذه الخاصية ،
 فتوافق بذلك البناء والمعنى ، وتم التناسق الكلي بين
 عناصر الجملة .

(١) - سورة الشعراء : ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١

(٢) - الواو في الأصل حرف وضع لمعنى - انظر :

الشيخ كمال الدين أبي البركات الأنباري النحوي : الانصاف في مسائل
 الخلاف - ج ٢ - المكتبة التجارية الكبرى - بمصر - ط ٤

وكان يمكن للآية أن تتركب على هذا النسق ، الذي يطعمني ويسقين ،
 ويمرضني ويشفين ، ويميتني ويحيين ، ويكون للكلام معنى تمام
 ومفهوم ، ولكنه لا يملك ذلك المعنى الدقيق الذي أكبته للآية
 الحروف المستخدمة في ربط معاني الآية وأفعالها ، إذ أن كل
 شيء منها قد عطف بما يناسبه ويقع منه موقع السداد .

ومن أمثلة العطف الطريفة التي تخفى فيها العلاقة المتسببة في
 الجمع بين أجزائها ، ما جاء في قوله تعالى : "سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى
 بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ
 لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ، إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ، وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ
 وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ" (١)

إن السرد قد ربط بين الآيتين بحرف عطف ، هو الواو ، حيث عطف
 الآية الثانية التي تبدأ من : "وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ" على الآية
 الأولى التي ابتدأت بها السورة ، "سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا .."
 وكان الجامع بين الآيتين ، الذي سوغ هذا الربط ، هو أن "الأولى
 متعلقة بعطايا سيدنا محمد (ص) ، وهذه متعلقة بعطايا موسى
 عليهما السلام" ، فسيدنا محمد (ص) أسري به من المسجد الحرام إلى
 (٢)

(١) - سورة الاسراء : ٢٤١

(٢) - الصاوي : حاشية الصاوي على تفسير الجلالين - م ٢ - ص ٣٣٩

المسجد الأقصى ، وعرج به الى السماء ، كما منح موسى شرف السير الى
الطور ، وأعطى التوراة .^(١)

وهكذا فقد كان العطاء الذي يشتركان فيه هو الجامع ، فجسي
بالواو الذي يفيد التشريك ، للربط بينهما ، حتى يتم التلاؤم بين
ما هو معنى وما هو مبنى .

(١) الصاوي : حاشية الصاوي على تفسير الجلالين - م ٢ - ص ٣٣٩

تكوين الفصل الثاني

XXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXX

إن أسلوب السرد القصصي في القرآن ، يفد ، في جانب كبير منه ، من التكيف
بالربط العقلي أو اللفظي ، بصورة تجعله مهياً للتعبير عن الحدث ،
لا سيما المركب منه ، بطريقة متسلسلة ومنطقية دالة ، لتقبل الأمرين ،
ولا تتسع لهما ، بل تحصر المتلقي في فائدة واحدة ، ورؤية لا يحبس
عنها ، كما تجذبه للمتلقي المستمرة والمتابعة ، بفاعلية أمور دقيقة
ومحددة ليست عامة .

إن الربط العقلي يتولى ربط الجمل والآيات وفق علاقة معنوية ، ويذكر كما
المتلقي من خلال التأمل المستمر لطبيعة العلاقات بين الجزئ
والكل .

والرابط اللفظي ، ويتمثل في الوسائط النحوية التي تتولى الجمع
بين جمل وآيات تتشابه مضمونها ، أو تتلاقى معانيها ، على الوجه
الذي يقتضيه العقل ، كمثل ما نجد في الربط بين الأفعال والوقائع
في حادثة المراودة ، أو في حادثة ولادة عيسى عليه السلام ، أو في واقعة
التدليس والبرهنة على عظمة الله من قبل إبراهيم عليه السلام
والوسائط النحوية التي أتت الرسالة القصصية ، والمواقف ، أداءً دقيقاً

لا يترك شغرة أو خلا أو فتورا ، حيث وقعت كل منها موقع السداد ،
وربطت كلا بما يناسبه ، فتم بذلك التوافق بين البنائا
والمعنى ، والتناسق الكلي بين عناصر النص .

الفصل الثالث

ظاهرة التأكيد وأسلوب السرد القصصي
في القرآن

- التأكيد بـ: إنَّ

- التأكيد باللام والنون

- تقويم الفصل

أسلوب السرد القصصي في القرآن وظاهرة التأكيد

لا يتخلف أسلوب السرد القصصي في القرآن قيد أنملة عن ترجمة الأحداث ومواقف الشخصيات ، ولا يتوانى عن نقل عواطف المتحاورين والمتصارعين ، والتعبير عن آرائهم وأفكارهم ومواقفهم بصورة جلية ومعبرة .

والمتفحص لقصص القرآن لا يلقى عنقاً في أن يجد أسلوباً يجسد معاناة الأنبياء من أجل إقناع أقوامهم بما يدعونهم إليه ، كما لا يجد مشقة في استكشاف صور العناد التي أبدتها المدعوون . ويمكن معاينة هذا التجسيد وهذا التصوير في أساليب الحوار التي يعبر بها كل من المتحاورين عن رأيهم ، وليس بالضرورة أن تشمل كل قصة على حوار ؛ فقد كانت القصص القصيرة التي نزلت في المرحلة الأولى خالية من هذا الأسلوب ، لأنها كانت قائمة على رسم الأحداث ، للتأثير بها على عواطف المتلقين .^(١)

ونجد هذا اللون من الأسلوب الحوارية بشكل واضح في السور الطويلة التي كان يراد بها التثبيت أو شرح المبادئ الإسلامية ، مثل :

(١) - محمد كمال الدين : العرب والمسرح - كتاب الملال - العدد ١٦١

سورة الشعراء ، أو هود ، أو الأعراف ، أو قصة موسى في طه ، أو قصة
يوسف ، أو قصة إبراهيم في سورة مريم والأنبياء (١) .
والحوار ، في الأغلب الأعم ، يدور بين النبي وقومه حول الموضوعات
الدينية ، من أمثال : وحدانية الله ، البعث ، بشرية الرسل ، والمعجزات
الغارقة الدالة على النبوة . وقد وظف القرآن الكريم الأسلوب المناسب
والملائم لهذه المواقف ، واختار منه ما يعكس طبيعة الصراع بين
العقيدة التي جاء بها النبي ، وبين الاعتقاد القائم بين القوم
المبعوث اليهم .

وكما هو معلوم ، فإن الدعوات الجديدة والأمور المستحدثة ، غالباً
ما تقاوم في أول أمرها ، وتجابه بمعارضة شديدة ، ولا يتم قبولها إلا بعد
لها إلا إذا كانت تحمل طموح القوم وتلبي رغباتهم ، ولذا يكون
لزوماً على الداعي أن يكون عرضه قوياً يستطيع أن يفرض على المتلقي
ضغوطاً تجعله يستمع لما يلقي إليه ، ويثير اهتمامه ، ويشد
انتباهه ، ويفتح أمامه سبل الآمال ، " وإنما يرسل النبي ، وليس
معه إلا اللسان أذوم الأسلحة ، وأقوى وسائل الإصلاح " (٢) ، لنشر عقيدة

(١) - راجع هذه السور

(٢) - د . عبد الحليم حفني - أسلوب المحاوراة في القرآن الكريم -

التوحيد ، وإزالة عبادة الوثنية من على وجه الأرض ، ولذلك نجد يودع كلماته التي يشكل بها أسلوبه قدرة الفعل والمقاومة ، ويدخلها في معركة طاحنة ضد قوى التردد والإعراض ، ويحملها مسؤولية النقد الواعي للأوضاع ، والدعوة إلى التغيير نحو الأقوم . وبذلك تصبح اللفظة غير حيادية المضمون ، بل مرتبطة به ارتباطاً عضوياً ، إلى حدود التفكير أنها هي التي تصارع .

ولما كان الكلام الذي يفتتح به الأنبياء والرسول دعواتهم يلقي إلى أقوام لهم أحكام واعتقادات تخالف الأحكام والعقائد التي جاؤا بها ، فقد لزم الأمر تقوية الكلام من أجل تقوية الحكم وتثبيتته ، ذلك أنه " لئلا كان الكلام مع المنكر ، كانت الحاجة إلى التأكيد أشد " (١) .

ولتوضيح هذا الأمر، نضرب أمثلة من واقع دعوات الأنبياء ، كما أظهرها القرآن من خلال السرد القصصي ، ففي قوله تعالى حكاية

(١) - عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز - ص ٣١٢

وانظر: السيوطي : حاشية السيوطي على مفتاح العلوم ، للسكاكي -

دار الكتب العلمية - بيروت - ص ١٣٢

وانظر : التفتازاني : شرح السعد ج ١ - ص ٨٠

عن نوح عليه السلام ، وهو يقول لقومه : " أَلَا تَتَّقُونَ لِإِيَّايَ لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا (١) . نجد هذا الرسول قبل أن يعرض موضوع الدعوة ، يعرف بنفسه وبمهمته بأسلوب قوي ومثير ، وهذا حتى يهيئ الجو المناسب للعرض ، ويمهد نفوس المتلقين لما سيلقى عليهم ، لأنه إذا تم الاعتراف له بمهمته فسيضمن النجاح لدعوته .

ولذلك ، فقد لجأ إلى تقوية كلامه بمقويين ، حيث استعمل أداة التوكيد " إِنَّ " في بداية كلامه لتجرف نغوات التردد وعفن الإنكار ، وتُهيئ النفوس لإنزال الموضوع وعرضه ، ثم قرش الأرض وبسطها بعبارة تهز عاطفة القوم ، وتلين نفوسهم ، وتبعث الثقة فيهم ، ليصفوا إلى ماسيقوله لهم ، ويعتقدوا فيه خيراً ، لأنه هو واحد منهم ، وما يصيبهم من مصائب يؤلمه ويحزنه ، فقدم لهم عبارة : " لكم " قبل تقديم الخبر ، ليشير بها إلى عظيم العناية بهم ، وينبه إلى العناية الموجهة لهم ، حتى يدفع عن نفسه شبهة الإنكار ونظرة الشك والريب .

بعد هذا التمهيد المقصود المهيئ لنفوسهم وعقولهم ، يقدم لهم الخبر الدال على مهمته ، فيقول : " إِيَّايَ لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ " ،

رسول من الله أبلغ تعاليمه وأوامره ونواهيته ، وأميين " على تبليغ ما أرسلت به (١) . فيكون بذلك قد وظف كل وسائل التأكيد والاثارة والتقوية ، لتثبيت الخبر وتحقيق صحته .

والاسلوب نفسه سلكه كل الرسل في دعواتهم ، حسب ما سرده علينا القرآن الكريم في قصصهم . ففي سورة الشعراء ، التي تضم سبع قصص ، قدم كل رسول عرضه في أسلوب مؤكد " إِنْ " ، ماعدا قصة ابراهيم عليه السلام ، فقال موسى وهارون لفرعون : " إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ " (٢) ، وقال نوح : " يَا أَيُّهَا لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ " (٣) ، وردد عبارة نوح كل من هود وصالح ولسوط وشعيب (٤) وذلك لانهم كانوا يدركون ما تنطوي عليه نفوس اقوامهم ، الأمر الذي جعلهم يستعينون في محاولة إقناعهم بأدوات (فنية) لغوية ، تعطي لكلامهم قوة ، وتكسبه متانة وصلابة ، وفي الوقت نفسه تحاول لإزالة المكوك والظنون عما يقولونه ، فصدروا كلامهم بأداة التوكيد " إِنْ " ، حسب ما يسرد لنا الخالق .

يقول عبد القاهر الجرجاني : انما يحتاج الى الاداة " إِنْ " إِذَا

-
- (١) - الصاوي : حاشية الصاوي على تفسير الجلالين - م ٣ - ص ١٨٦
 (٢) - سورة الشعراء : ١٦
 (٣) - سورة الشعراء : ١٠٧
 (٤) - سورة الشعراء : ١٢٥ ، ١٤٣ ، ١٦٢ ، ١٧٨ على التوالي

كان لهتلقي "ظن في الخلاف، وعقد قلب على نفي ما ثبت، أو إثبات ما تنفي، ولذلك، تراها تزداد حسناً، إذا كان الخبر بأمر يسعد مثله في الظن، وبشيء قد جرت عادة الناس بخلافه" (١).

ورسل الله عليهم السلام، جاؤوا بأخبار تحمل دعوى لم يسمعها أقوامهم من قبل، ولم يرق لهم سماعها في حينها، فاستوجب الرسل هذا الأمر، تقوية كلامهم بـ"إن"، لمجابهة الإنكار، وخرق أغشية القلوب وفتحها، حتى يدخل الإيمان إلى شغافها، وكأنهم عرفوا أن أقوامهم سوف يسألونهم عن الصفة التي يكلمونهم بها، ويدعونهم إلى ترك ما هم عليه، واعتناق ما جاؤوا به هم، وعن المركز الذي يتحدثون منه إليهم.

لهذه الأسباب، استفتح الرسل عليهم السلام، أحاديثهم بأداة التوكيد "إِنَّ"، التي هي، في العادة، تنصدر الجواب عن سؤال "يكون للسائل ظن في المسؤول عنه، على خلاف ما أنت تجيبه به" (٢).

وإتينا لو استقرأنا مثلاً الآيات السابقة، لوجدنا الأمر واضحاً وبيئاً في أنه يقصد بها إلى الجواب، كقوله تعالى: "فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ"، وكأنهما يجيبان عن سؤال

(١) - عبدالقاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز - ص ٣١١

(٢) - نفسه: ص ٣١٢

يترقبانه من فرعون ، يقول لهما فيه ، ماشأنكما ؟ وما جاء بكما ؟
وما تقولان ؟ ، فيقولان : " إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ " .
ونستشف هذا التساؤل كذلك ، من العبارة الموحدة ^(١) التي كررها السرد
بألفاظها على لسان الرسل ، نوح ، وهود ، وصالح ، ولوط ، وشعيب ، في سورة
الشعراء ، عندما بُعِثُوا إلى أقوامهم ، فنتمثل الرسول منهم يقول
لقومه : " أَأَتْتَقُونَ " ، فيتساءل كل قوم عن الصفة التي أهلت
هذا القائل ليعرض عليهم ما عرض ، فيكون جوابه : " إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ
أَمِينٌ " .

إن تصدير الرسول جوابه بـ "إِنَّ" سيكون دعماً لرأيه ، وتقوية
لقوله ، ومحاولة لإزالة علامات الاستفهام التي تتراءى في أنهان قومه .
ويمكننا ملاحظة ظاهرة تأكيد القول في أساليب الرسل كذلك ،
في سورة الأعراف ، حيث يسعى كل رسول إلى تأكيد قوله وتقويته ،
سواء كان هذا القول يوضح فيه مهمته ، أم يبين فيه العقيدة
السليمة ، أو يخوف فيه من عذاب يوم القيامة ، أو غير ذلك

(١) - يشير هذا القول الموحد إلى أن الأديان في أصلها العقائدي

دين واحد ، وما هي إلا مراحل نزلت بها النواميس على وفاق الطبيعة

البشرية وتطورها .

انظر: مصطفى محمود : القرآن ، محاولة لفهم عصري - ص ١٥١

ويستخدم الأسلوب المؤكد ، كذلك ، شعيب عليه السلام في قوله :

" أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ، قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ " (١)

ويخاطب موسى فرعون في قالب من أسلوب التأكيد ، قائلا : " إِنِّي

رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ حَقِيقٌ ، عَلَيَّ إِلَّا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ ، قَدْ

جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ ، فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ " (٢)

وهكذا نلاحظ في أقوال الرسل الذين جمعهم السرد في سورتي :

الشعراء ، والاعراف ، وفي غيرهما ، ظاهرة توكيد الأخبار (٣) . وهذه (٤)

الظاهرة توحى بأن الرسل كانوا يلقون عنتا في تبليغ أمر ربهم ،

وكانوا يجابهون بمعارضة شديدة ، ولأما كانوا ليستنجدوا بهذه الأدوات

اللغوية المقوية ، والداعمة لأساليبهم ، لأن صياغة الأسلوب

صياغة ما ، وتشكيله تشكيلا معينا ، إنما يكون استجابة لحاجة

فنية ، أو تلبية لفرض معين .

(١) - سورة الاعراف : ٨٥

(٢) - سورة الاعراف : ١٠٤ ، ١٠٥

(٣) - مثل : سورة هود ، سورة يونس ، سورة الانبياء . . .

(٤) - ان الجدل العنيف متواتر في هذه السور ، ومنه نشأ ذلك

التوكيد في شكل يكاد لا يختلف تنوعا .

انظر : بلاشير ، ريجيس : تاريخ الأدب العربي - ج ١ - تحقيق :

د. ابراهيم الكيلاني - ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر - ط ١٩٨٨

والسرد كان سجلا لعصيان الامم كذلك ، ولإنكارهم الشديد للدعوات ،
 فرصد لقوم نوح أسلوب تهديدهم رسولهم " لَيْسَ لَكَ تَنْتَهٍ
 يَانُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ " (١) ، ورصد لقوم عاد كذلك تكذيبهم
 رسولهم هودا " قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أُوْعِظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ
 الْوَاعِظِينَ ، إِنَّ هَذَا إِلَّا خُلْفُ الْأَوَّلِينَ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ " (٢) ، وعلى
 شعور سجل اتهامهم رسولهم بالسحر " إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُحَرِّبِينَ
 مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا ، فَأْتِ بآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ " (٣) ، ونقل
 عن قوم لوط إنذارهم لرسولهم بالإخراج من الأرض والنفي بعيداً
 " لَيْسَ لَكَ تَنْتَهٍ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ " (٤) ، كما أبرز السرد
 أيضاً إنكار أصحاب الأيكة رسولهم شعيباً " إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُحَرِّبِينَ
 (٥)

(١) - سورة الشعراء : ١١٦

(٢) - سورة الشعراء : ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٣٨

(٣) - سورة الشعراء : ١٥٣ ، ١٥٤

(٥) - أصحاب الأيكة هم أهل مدين قوم شعيب ، والقرآن حين أخبر

عن مدين قال " أَخَاهُمْ شُعَيْبًا " هود ٨٤ ، وحين أخبر عن الأيكة

لم يقل " أخاهم " ، والحكمة في ذلك أنه لما عرفهم بالنسب ،

وهو أخوهم في ذلك النسب ، ذكره ، ولما عرفهم بالأيكة

التي أصابهم فيما العذاب ، لم يقل " أخاهم " ، وأخرجه عنهم .

انظر: الزركشي : البرهان في علوم القرآن - ج ١ - ص ١٦٢

وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا ، وَإِنَّ نَظْمُكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ^(١)

إن أقوال المكذبين كذلك ، وزدت مؤكدة ، هنا في سورة الشعراء ،

حيث نجدها تعلن إنكاراً مستمراً لما جاء به الرسل ، وهي كذلك ،

في سورة الاعراف ، نجدها تكديباً بالتأكيد ، إذ قال قوم نوح لـ :

"إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ" ، وقالت عاد لرسولهم "هود" :

"إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ" ^(٢) ،

وقال الذين استكبروا من ثمود لرسولهم " صالح " ، ومن آمن معه

"إِنَّا بِالذِّبِّ آمَنَّا بِهِ كَافِرُونَ" ^(٤) ، وقال قوم لوط لرسولهم " لوط "

ومن آمن معه : " أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ" ^(٥)

وقال قوم شعيب : " لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا ،

أَوْ لَتَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا " ، وقال فرعون لموسى والسحرة الذين آمنوا ^(٦)

معه : " إِنَّا نَهَذَا لَمَكْرٌ مَكْرَتُمْ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا

فَسَوْفَ نَعْلَمُونَ ، لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ

(١) - سورة الشعراء : ١٨٥ ، ١٨٦

(٢) - سورة الاعراف : ٦٠

(٣) - نفسها : ٦٦

(٤) - نفسها : ٧٦

(٥) - نفسها : ٨٢

(٦) - نفسها : ٨٨

أجمعين (١).

لقد أصر الأشرار على عدم الإيمان بما يدعو اليه الرسل، وعَبَّروا
 عن هذا الأصرار بأسلوب مؤكد قوي، تساندت فيه الأدوات اللغوية
 مع المعاني، لتكون سداً مانعاً ضد تسرب الإيمان إلى قلوبهم.
 ومما يدعم هذا القول، ورود لام التوكيد في الكلام، "ولا يجي"
 ذلك إلا لضرب من المبالغة (٢).

ففي قول نوح مثلاً: "يَا أَيُّهَا لَنْرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ"، تساندت لام التوكيد
 في "لنراك" مع "إِنَّ" في بداية الجملة، لتدل دلالة واضحة
 على صلابة الموقف، وقوة الحكم الذي اتخذته القوم ضد رسولهم.

لما تهم أتبعوا هذه الأدوات اللغوية بالفعل "نراك" كإيحاء
 بأن هذا الحكم مستمر ومتجدد، كلما جدد نوح دعوتهم،
 ولا تراجع عنه، ثم وصفوه بالضلال المبين، أي "في نهاب عن
 طريق الحق والصواب مبين" (٣)، وهذا لتسفيه رأيه وإخراجه عن
 حد المعقول، حتى لا يسمع اليه ولا يؤخذ بقوله.

لقد تآزرت بذلك القوة اللغوية المؤكدة مع المعنى، لتعلن

(١) - سورة الاعراف: ١٣٣ و ١٣٤

(٢) - ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر - ج ٢ - ص ٢٧٠

(٣) - النيسابوري: غرائب القرآن و رغائب الفرقان - م ٥ - ج ٨ - ص ١٣٤

الكفر والجحود، وعدم الإيمان بما يدعو إليه نوح . وكذلك كان موقف عاد من رسولهم هود ، إذ نعتوه بالسفاهة البينة ووصموه بالكذب الصريح في قولهم : " إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ " .

ولقد نقل السرد هذا الموقف بأسلوب مؤكد بـ "إِنَّ" و "اللام" و "النون" ، ليدل على قوة الإنكار وصلابة الموقف الذي لا يقبل الجدل والمراجعة ؛ ذلك أن " النون الواردة بعد اللام زيادة في التأكيد ^(١) ، بل إنهما "تأكيدان ، أحدهما مردف بالآخر ^(٢) ، أضيفا إلى الأداة "إن" الواردة في مستهل الجملة .

وموقف قوم ثمود من رسولهم " صالح " لم يخرج عن الخط الإنكاري الذي سار عليه من سبقهم من الأقبام ؛ فلقد أعلنوا كفرهم بما جاء به صالح ، وبما آمن به بعض المؤمنين ؛ إذ سجل السرد عليهم هذا الحكم المؤكد في قوله تعالى : " إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ " ^(٣) .

إن حكم القوم ورد في صيغة أسلوبية مؤكدة وواضحة ، زاهيا قوة ووضوحاً مقابلتها من صيغة الذين آمنوا والذين قالوا :

(١) - ابن الأثير : المثل السائر - ج ٢ ص ٢٧٤

(٢) - نفسه : ص ٢٧٤

(٣) - سورة الأعراف : ٧٦

ليعبر بها عن موقف الشخصيات المعارضة للرسول ، سواء كانت
 شخصيات فردية أم شخصيات جماعية ، كما أنه يكشف بها
 كذلك عن عواطفها وشعورها وآرائها ، حيال ما جاءت به الرسالة ،
 ليتمكن في نفس المتلقي الحكم الذي يقره الله سبحانه وتعالى
 في حق هؤلاء الأقسام المعارضين ، وحتى تتقبله عن اقتناع
 تام بعد اطلاعها على المواقف الجاحدة المتحدية .

وهكذا كان التعامل مع اللفظة في درجة السَّوَاءِ ، إذ سلك
 السرد في نظمها مسلكا يلائم المواقف ويتناسب مع حالة الشخصيات ،
 فاختار العبارات والأساليب التي أظهرت بوضوح حدة مواقف الكفار ،
 وكشفت عن تلك الحالات النفسية المعاندة والمتصلبة ، حتى كأن
 هذه اللفظة قد اشتقت من أجلك تلك المواقف ، وتلك الشخصيات ،
 ولتعبّر عنها بالخصوص .

ولقد نجد نقاد الأعمال الأدبية الوضعية يؤكّدون هذا التوافق
 الأسلوبى المعنوي في النصوص الأدبية ، وهو التوافق الذي لا يقع
 فيه انفصام في بنية النصوص ، حيث يرون بأن استقصاء الشجن
 التأثيرى في النص ، لا يتسنى إلاّ من خلال فحص الأدوات اللغوية
 المركبة في صيغ أسلوبية معينة ، وذلك باعتبارها ضربا من البناء

صيفت فيه الأفكار والآراء المعبرة عن الأحاسيس والمفاهيم ، ولأن
 " صاحب البحث في الرسالة الإبداعية ، لا يتسنى له الإفصاح عن
 حسه ولا عن تصويره للوجود ، إلا انطلاقاً من تركيب الأدوات
 اللفظية تركيباً يفضي إلى صوغ الصورة المنمودة والانفعال
 المقصود " (١)

(١) - د° عبد السلام المسدي : النقد والحداثة - ص ٣٧

تقويم الفصل الثالث

تبرز ظاهرة أسلوبية جديدة لافتة للانتباه ، في القصص التي كان يراد بها شرح مبادئ الرسل والدعوة للإيمان بالله ، ينعكس فيها من بين وسائل ضبط اللغة في الأساليب النحوية ، التوكيد ، لها كان يترقبه الرسول من شكوك وتساؤلات يجابهما جميعا بهذا الأسلوب الذي صلحت له " إِنْ " دائماً .

لقد أبان السرد بالتوكيد ملاءمة بين مواقف الشخصيات في هذه القصص المذكورة ، وبين الأساليب التي عبرت بها عن مواقفها ، حتى كأن هذه الأساليب قد اشتقت من أجل هذه المواقف وألوان الصراع ، ولتعبير عنها بالخصوص ، بحيث ان المتلقي لا يلقى عننا في ادراك مواقف الشخصيات المتحاورة ، إذا فحَص الأدوات المستعملة لا فصاح عن حسها ومواقفها .

وهذه هي لغة القرآن ، لا تخلف عن رسم السرد الحدسي ، ومواقف الشخصيات فيه ، ولا تقصر في نقل عواطف المتحاورين والمتصارعين والتعبير عن آرائهم بصورة جلية وواضحة ، حتى أننا نجد هنا تنوع في إطار القاعدة النحوية الواحدة ، فتستخدم " إِنْ " المؤكدة في مقام على قدرها ، وتلجأ للتأكيد باللام والنون في مركز مخالف يستأهل هذا اللون من التأكيد .

الفصل الرابع

التوافق الموقى وأسلوب السرد

القسمى فى القرآن

- تمهيد

- توافق الأصوات فى كل من الكلمة والجمله

- موافقة التركيب الموقى للأحداث

- موافقة التركيب الموقى للشخصيات

- تقويم الفصل

- تقويم الفصل الثانى

التوافق الصوتي ، وأسلوب السرد القصصي في القرآن

تمهيد
xxxxxxxxxxxx

إن المصفي لتلاوة القرآن تطرق سمعه أصوات منظومة
نظماً موسيقياً ، يأسر النفوس ، ويثير الوجدان ، وذلك بما فيه من
تقسيمٍ منوع للحركات والسكنات ، يجدد نشاط السامع ،
وتوزيعٍ لحروف المد والغنة توزيعاً " يساعد على ترجيح
الصوت به ، وتهادي النفس فيه أنا بعد آن ، إلى أن تصل إلى
الفاصلة الأخرى ، فيجد عندها راحتها العظمى " (١) .

إن هذه الخاصية في الأسلوب القرآني تستهوي كل من ألقى
بإيه السمع ، حتى ولو كان من الذين لا يعرفون لغة القرآن ،
لما يجد فيه من نغم متنوع تنوع موسيقى الوجود .
وهذه الخاصية هي التي جعلت الوليد بن المغيرة ، الذي عشق
الفصاحة والبلاغة ، لا يقدر على كتمان إعجابه بالقرآن ، على
الرغم من كفره ، فيقول : " والله إن لقوله لحلاوة ، وإن عليه
لطلاوة ، وإن أعلاه لمثمر ، وإن أسفله لمغدق ، وأنه ليعلمو

(١) - د. محمد عبد الله دراز : النبأ العظيم - دار القلم

ولا يعلى عليه " (١)

ان الموسيقى تقطر من كل حرف من حروف الألووب القرآني ،
 من كل عبارة من عباراته ، تنبع من داخل الكلمات ، ومن ورائها ،
 ومن بينها ، بطريقتة حكيمة ، ولذلك ، تضاربت آراء العرب في وصف
 القرآن ، وَعَمَّ اضطرابهم في تعيين مصدره ، فقالوا : إنه شعير ،
 لأنهم وجدوا في توقيعه هزة لا يوجد لها مثيل إلا في الشعر ، غير
 أنهم سرعان ما يغيرون الرأي ، حين يرجعون النظر فيه ، فيجدون
 أعاريضه ليست على أعاريض الشعر ، سواء في رجزه أم في قصيده ،
 ولا يجدون مخرجاً من هذه الحيرة إلا أن يسموه بالسحر ، لأنه ملك (٢)
 عليهم نفوسهم ، لكنهم لم يقفوا لهذا السحر على سر ، فظنوا
 على حيرتهم ولم يستقروا على رأي ، " فكانوا كلما وضعوا أيد بهم
 على رأي وأرادوا أن يسحبوه على القرآن وجدوه نابيلاً
 عنه في ذوقهم " (٣)

وإذا كان القرآن الكريم في مجمله هذه هي سمات أسلوبه من

(١) - ابن هشام : السيرة - ص ٨٥

(٢) - هو قول الوليد بن المغيرة ، " فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ " المذثر ٢٤

انظر : ابن هشام : السيرة - ص ٨٥

(٣) - د. محمد عبد الله دراز - النبا العظيم - ص ٦٨

من الناحية الصوتية والموسيقية ، فما هو حظ أسلوب السرد القصي

من هذه الناحية أيضا ؟

يجيب الباقلاني قائلاً : إن " عجيب نظم القرآن وبديع تأليفه ،

لايتفاوت ولا يتباين على ما يتصرف إليه من الوجوه التي يتصرف

فيها ، من ذكر قصص ومواعظ واحتجاج وحكم وأحكام ، وإعذار

وانذار ، وتبشير وتخويف ، وأوصاف وتعليم أخلاق كريمة ، وشيخ

رفيعة ، وسير مأثورة ، وغير ذلك من الوجوه التي يشتمل

عليها " ، أي أن الأسلوب في السرد القصي القرآني يتمتع ^(١)

بالخصائص نفسها التي أشار إلى بعض منها العرب القدامى ،

من تأليف صوتي محكم ومعبر ، وموسيقى تستهوي النفوس وتقيد

الأسماع .

وسيتضح لنا المقال من خلال الأمثلة التي سنعرضها وفق

التقسيمات التي رأيناها توافق المقام ، مثل :

١- توافق الأصوات داخل الكلمة والجملة .

٢- موافقة التركيب الصوتي للأحداث .

٣- موافقة التركيب الصوتي للشخصية .

(١) - الباقلاني : إعجاز القرآن - ص ٣٦

١ - توافق الأصوات داخل الكلمة والجمل في السرد القصص القرآني

تتساند أصوات الحروف فيما بينها، في الكلمة الواحدة،
 أو الجملة، داخل أسلوب السرد في القصص القرآني، لتؤلف نظاماً
 موسيقياً متآلفاً تألف القطعة الموسيقية داخل إطار المنظومة
 الواحدة المتكاملة، فلا تنافر بين وحداتها، ولا تعارض بين
 أجزائها، حتى أن بعض الأصوات والحركات قد تكون ثقیلة
 في نفسها، لسبب من الأسباب، فإذا ضَمَّهَا الأسلوب السرد في
 القصص القرآني لأصوات أخرى، " رأيت أصوات الأحرف والحركات
 التي قبلها، قد امتدت لها طريقاً في اللسان، واكتنفتها بضروب
 من النغم الموسيقي، حتى إذا خرجت فيه، كانت أعذب شيء
 وأرقه، وجاءت متمكنة في موضعها، وكانت لهذا الموضع أولسى
 الحركات بالخفة والروعة" (١).

ونجد مثلاً ما بينه الرافعي في قوله تعالى: " وَلَقَدْ
 أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنَّدْرِ" (٢)، فإذا عزلنا كلمة " النَّدْرِ " عن
 السياق، أحسننا ثقلاً في ضمة " الذال "، لكونها تلي النون
 (٣)

(١) - مصطفى صادق الرافعي: تاريخ آداب العرب ج ٢ - مطبعة:

الاستقامة - القاهرة - ١٩٤٠ - ص ٣١٧

(٢) - سورة القمر: ٣٦

(٣) - الذالة وهي من أقل الحروف استعمالاً عند العرب لثقلها

المضمومة ، فضلا عن نُبُوِّ هذا الصوت على اللسان ، على حدة ، لكن
 إذا وضعناها في السياق العام للإيقاع ، سواء على نسق الجملة ،
 أو في إطار السورة ، فإن هذا الصوت المتحرك يكون قد وقع الموقع
 الذي يتطلبه الاستخدام العام في الجملة والسورة في آن
 واحد .

وإذا أرففنا السمع إلى الجملة ، ودققنا النظر في تركيبها
 الصوتي والحركي ، وجدنا قبل حرف الذال من كلمة " النَّذْرُ " ^(١)
 حركات متتالية سريعة متحدرة نحو الفاصلة ، توهم حركتها
 بوقوع تنافر بين سرعتها ، وثقل حرف الذال وحركته .

ولكَيْلًا يقع هذا التنافر بين الحركتين ، وضعت في طريق الأولى
 فواصل تتكون من مند وسكون في كلمة " فَتَعَارَوْا " للتقليل من
 سرعتها ، حتى إذا بلغت لحظة الالتحام ، سارت بطيئة مع النون
 المضمومة التي حولت الحركة السابقة إلى حركة مضمومة ، ليسهل
 التلاحم ، ويصير ثقل الصوت التالي مستخفًّا ، فيتم التلاؤم ^(٢)
 والتوافق .

إن تأليف الأصوات المكونة للتركيب اللغوي في القصص القرآني
 على هذا النحو ، يُمَكِّنُ الأسلوب السردى من الخروج في صورة

== انظر : السيوطي : المزهر - ج ١ - ص ١٩٥
 (١) ، (٢) - انظر : الباقلاسي : اعجاز القرآن - ص ٢٧

لفظية ، يسهل نطقها على اللسان ، ويحسن صداها في السمع .
ومن أمثلة التوافق الصوتي في أسلوب السرد القصصي كذلك ، ما جاء
في قوله تعالى على لسان المدهد : " وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ نَبَأً بَيِّنًا " (١) ؛
فلقد جاور السرد بين الكلمتين : " سبأ " و " نبأ " ، لتساويهما
في حروفهما ، وتوازنهما في موسيقاهما ، حتى يعطي للأسلوب
شكلاً أكثر توافقاً وانسجاماً ، وللمعنى عمقاً أبعد ، ودلالة
أوسع ؛ ذلك أن الكلمتين ، سبأ ، ونبأ ، على الرغم من تكونهما
من مادتين مختلفتين ، إحداهما مملكة ، والأخرى خبر ، فإنهما
يتشاكلان من حيث أبعادهما العميقة ، لكون الأولى مملكة
عظيمة تنطوي على الكفر ، وكون الثانية تحمل هذا
الخبر الذي له شأن (٢) .

وكان يمكن أن توضع كلمة " خبر " مكان كلمة " نبأ " ويكون
المعنى سليماً مفهوماً ، ولكن كما جاء في الآية أسلم وأصح ،
لما في كلمة " نبأ " من الزيادة التي يطابقها وصف
الحال .

(١) - سورة النمل : ٢٢

(٢) - النسفي : تفسير النسفي - ج ٣ - دار احياء الكتب العربية -

ص ٢٠٨ - يقول : النبأ : هو الخبر الذي له شأن .

وهذا ما جعل المتلقي لا يجد فكاً كما من أشر التماثل الصوتي^(١)
 المعنوي الذي تسلط عليه، وأنفذ فيه عوامله بوعي منه ،
 أودون أن يدري ، ولو أنه وجد تأليفاً آخر للأسلوب السريدي ،
 ليس على هذا السواء ، لتخلص من الخطاب القرآني ، وتقص عنه ،
 ولأمتلاك حجاب وانصرف .

إن العرب كانوا يستحبون هذا اللون من التركيب اللفظي ،
 واستنوه في لغتهم ، وأطلقوا عليه اسم : " المحازاة " ، وقد
 نجد لهذا المصطلح تعريفاً عند السيوطي في المزهري ، إذ يقول :
 " ذلك أن تجعل كلاماً ما يحذا كلام ، فيؤتى به على وزن
 لفظاً وإن كانا مختلفين " ^(٢) ، وهو من جنس الكلام الذي سماه البلاغيون
 " البديع " ، وقد حسن وبدع هاهنا لفظاً ومعنى .

إن التوافق الصوتي في أسلوب السرد القصصي في القرآن ، لا تخلو
 منه عبارة واحدة ، سواء كان هذا التوافق من حيث قرآن القريب
 بمثله ، أو المتداول بمثله ، وذلك مراعاة لجس الجوار والمناسبة ،
 وزيادة في الائتلاف والتوفيق ، فمثلاً ، في قوله تعالى على

(١) - مثل الوليد بن المغيرة - انظر :

ابن هشام : السيرة - ص ٨٥

(٢) - السيوطي : المزهري - ج ١ - ص ٣٣٩

لسان إخوة يوسف لأبيهم : " تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ " (١) .

لقد أحدث السرد في هذه الآية مقاربتين متناسبتين صوتاً ومعنى مقارنة صوتية، للكلمات المكونة للآية ، ومقاربة معنوية لفحوى هذه الكلمات ، حيث جيء بأغرب ألفاظ القسم ، وأقلها استعمالاً ، وهي التاء (٢) ، ثم جاورها بأغرب صيغ الأفعال التي ترفع الأسماء وتنصب الأخبار ، وهي " تفتأ " ، لتوافقها صوتاً وخرابة ، ثم أردفهما بأغرب ألفاظ الملاك ، وهي " الخرض " ليتحقق التوافق والأنسجام بين عناصر الأسلوب .

واقضى هذا التوافق ، عقد قران بين لفظة وأخرى من جنسها في التركيب الصوتي ، وفي الغرابة ، " توخياً لحسن الجوار ، ورغبة في تآلف الألفاظ ، لتتبادل في الوضع ، وتناسب في النظم (٣) .

(١) - سورة يوسف : ٨٥

(٢) - إن المقسم عليه بالتاء يكون نادر الوقوع ، لأن الشيء المتعجب منه لا يكثر وقوعه ، ومن ثم قل استعمال التاء ، إلا مع اسم الجلالة ، لأن المقسم بها أقوى القسم .

انظر : الشيخ محمد الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير - ج ١٣

الدار التونسية للنشر - تونس - ١٩٧٦ - ص ٤٤

(٣) - السيوطي : الاتقان في علوم القرآن - ص ٣٢١ - نقل عن :

د. حفني محمد شرف : التصوير البياني - مكتبة الشباب - المنيرة -

إنَّ هذا الصنيع لَمَّا يُوَدِّي كذالك إلى التعبير عن المعنى أدقَّ تعبيراً ؛
 ذلك أنَّ مطلب يعقوب عليه السلام ، وَأَمَلَهُ في عودة يوسف وأخيه ،
 كان غريباً في تلك الظروف التي كان يُعْتَقَدُ فيها أنَّ يوسف أصبح
 محسوباً في زمرة الملكى ، ولأمل في وجوده ، فاقتضى هنا
 الأمل البعيد التحقيق، رثاً يقتاسب من حيث أسلوبه مع أمل
 يعقوب ، فجاء بأغرب الحروف والكلمات ، وأقلها استعمالاً ، لتتناسب
 مع غرابة المطلب وقلّة احتمالها .

وبذلك استطاع القرآن أنَّ يحقق التوافق والانجام بين اللفظ والمعنى ،

بِأَزَاءِ الأسلوب السردى في القصص التي يعرضها .

ولقد نجد هذا التوافق الصوتى ، كذلك ، بارزاً بشكل ملحوظ

في الأسلوب الذي يعبر به عن الأحداث ، وكذا في الأسلوب الذي

تلفظ به الشخصيات .

٢ - موافقة التركيب الصوتي للأحداث في أسلوب السرد القصصي القرآني

لقد نقلنا إلينا السرد القصصي القرآني ألوانا من الأمثلة التي

تصور وقائع الأحداث بالأصوات اللغوية ، وتجسد معانيها للمتلقي ،

إلى درجة يكاد يرى الفعل ويحس به .

ومن هذه الأمثلة ما نقله إلينا السرد القصصي عن حادثة الطوفان ؛

حيث شذت الألفاظ والتراكيب التي عبر بها عن الحادثة ، بإيقاع

صوتي أكيد ، يتوافق مع الطبيعة النائرة الغضبية ، حتى

يخيل للمتلقي وكأن الجبال تندك ، والأرض تهتز ، والسما تترج

لهول الحدث ، " فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ ، فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ

السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنَمَّرٍ ، وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا ، فَالْتَفَى الْمَاءُ

عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ، وَحَمَلْنَا عَلَى ذَاتِ الْأَوَاجِ وَسُيِّرَ ، تَجْرِي

بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرًا " (١)

لقد تآزرت مع المعنى تلك الأصوات التي تنبعث من الراء

ذي الصوت الطارق المتكرر ،^(٢) المرافق للأحداث ، لتحاكي صوت

(١) سورة القمر : من الآية ١٠ الى الآية ١٤

(٢) - الراء : صوت مجهور مكرر ، تكون الحركة فيه بمنزلة

حركتين : لمزيد من الاطلاع انظر :

د . تامر سالم : نظرية اللفظة والجمال في النقد العربي - دار

الحوار للنشر : اللاذقية سورية - ط ١ - ١٩٨٣ - صص ١٦ ، ٢٤ ، ٣١

الطبيعة الهادرة ، ولتجسد قصف الرعود وهدير المياه ، وتعكس صورة الإعصار الشديد الذي ضرب قوم نوح ، وحول العمران إلى خراب .

ان التركيب الصوتي داخل هذا الأسلوب المعبر عن الحادثة ، قد تمكن من نقل صورة صوتية للمتلقي ، معبرة عن جلال الحدث وعظيمته . ولم يتراخ هذا التركيب في نقله لهذه الصورة ، ولم يفقد شحنة الانفعال بأحداثها ، حتى لا تتخلخل البنية ، ويختلف مايقاع السرد عن مايقاع الأحداث .

ولقد كان هذا الإيقاع الصاخب ينقض على أسمع قريش ، فيقرع نفوسهم ، ويضخ آذانهم ، ويصعق قلوبهم ، ويؤثر على حسهم ، فيتضاعف لديهم الأثر النفسي ، وتشتد مخاوفهم من أن يحدث لهم مثل ما حدث لقوم نوح^(١) .

وهذه هي وظيفة الأسلوب الفني ، فإنه يؤدى ما يؤدى به الكلام عادة ، وهو إبلاغ محتوى الرسالة ، كما يسلط في الوقت نفسه على المتلقي تأثيراً ضاعطاً ، ينفعل به للرسالة المبلغة . ان المتمعن في الأساليب التي تصور الأحداث المنذرة بال غضب

(١) - د . محمد أحمد خلف الله : الفن القصصي في القرآن الكريم - ص ٢٢١

ليجدها كلها توظف " الألفاظ التي لها جرس صوت وصورة " (١) .
 يقول تعالى ، مثلاً : " وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ
 سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا ، فَتَرَى الْقَوْمَ
 فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعْجَازٌ نَخْلًا وَيَّةٌ " (٢) .

إن أدوات الصفير كلها جندت في هاتين الآيتين على مختلف
 صنوفها ، من الصاد ، والسين ، والزاي ، وذلك لتسمم في
 رسم الجو الحدثي الذي أوقعته الرياح في القوم .
 لقد تساندت هذه الأصوات وتآزرت ، فأصبح المعمار الفني
 للآيتين يجلجل بصوت الريح ، وينذر بعقاب شديد ، ويرسم صورة
 صوتية معبرة عن وقائع الحادثة الأليمة التي ألمت بقوم
 عاد ، حتى كأن السامع يكاد يبصر تلك الوقائع ، فيسرى
 الريح التي تقتلع تلك الأجسام الضخمة ، وترفعها إلى السماء ،
 لتلقي بها جثة هامدة خاوية من الروح ، كخواء جذوع النخل
 من اللباب ، بل يسمع صرير الرياح ، واضطفاق الخيام وأعجاز
 النخل ، وصورة الأرض الخراب (٣) .

(١) - مصطفى محمود : القرآن ، محاولة لفهم عصري - ص ١٨

(٢) - سورة الحاقة : ٦ ، ٧

(٣) - مصطفى محمود : القرآن ، محاولة لفهم عصري - ص ١٨

والفكر اللغوي القديم ، متمثلا في ابن جنى ، يرى بأن

واضعي اللغة " كثيرا ما يجعلون أصوات الحروف على سميت

(١)

الأحداث المعبر بها عنهما ، فيعدلونها بها ويحدثونها عليها " .

ان جلال الحادثة لم يؤثر على جمال الأسلوب وموسيقاه

بل عبر عن الحادثة ببنا رائع ، تمتاز داخله المعاني مع

الموسيقى ، وتتجانس في ثناياها الأصوات ، فيحسن

جرسها ، ويطيب إيقاعها .

ومن الأمثلة التي يبرز فيها التوافق والانسجام بين

التركيب الصوتي في الأسلوب وبين الأحداث ، ما نجده متمثلا

في قوله تعالى على لسان شعيب عليه السلام : " وَيَا قَوْمِ ،

أَوْفُوا بِالْمِيزَانِ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ، وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ

(٢)

وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ " .

(١) - ابن جنى : الخصائص - ج ٢ - تحقيق : محمد علي النجار -

دار الكتاب العربي - بيروت - ص ١٥٧

وانظر : السبوطي : المزهر - ج ١ - ص ص ١٤ ، ١٥

وراجع : Ferdinand de SAUSSURE : Cours de Linguistique

Générale publié par : Charles BALLY- et Albert Sechehaye

Payot-Paris 1962.P. P. 97-103.

حيث يرى "دي سوسيور" رأيا مخالفا ؛ من حيث عدم تطابق الدال والمدلول .

(٢) - سورة هود : ٨٥

لقد اعتمد السرد في هذه الآية الكريمة تركيباً مزدوجاً ،
أحد التركيبين صرفي ، تتداعى فيه الأوزان وتتعانق ، لتتكامل
نسقاً متناسباً ، حيث تستدعي لفظة المكياك ، لفظة الميزان
لتوافقهما ، وتطابق وزنيهما .

وثاني التركيبين صوتي ، له فضل الإسهام في توضيح المعنى
وتحديده . ولقد تضافرت الأوزان والأصوات لتشترك جميعاً في تحديد
معنى الآية ؛ ذلك أننا إذا ترجمنا إشارات الأصوات إلى
دلالات ، فإننا نجد أصوات الصفير التي ترافق المستوى
الدلالي بصفة متتالية^(١) ، تقوم بوظيفة منبه يوقظ حواس
المتلقين ، ويقرع أسماعهم ، ليستمروا في الانتباه والاستماع .
كما نجد التركيب الصوتي المكون لكلمات هذه الآية ، يدل
بصفة طبيعية على مدلول تلك الدوال ؛ فحرف الخاء مثلاً ؛
يوحى بقبح الأعمال التي كان ينهى شعيب قومه عنها ،
وحرف الشين ، يومي^(٢) ، إلى تفشيها في الناس واتساعها ، بينما حرف
الثاء ؛ يدل على انتشارها . وختم مقطع الفاصلة^(٣)

(١) - يرى ابن جنبي أن المثال المكرر قد جعل للتعني المكرر .

انظر : ابن جنبي : الخصائص - ج ٢ - ص ١٥٣

(٢) - الشين : للتفشي .

(٣) - الثاء : للنفث والبيث .

(١)

بالنون العاطفية التي تنعني عليهم فعلهم ذلك ،

وتشفق عليهم من عقاب اليم ، إن هم لم ينتهوا عن

إفسادهم في الأرض .

وهكذا ، فقد تمكن السرد من الربط بين سبب الضفيرة

الأسلوبية في هذه الآية ، بسدى صوتي ، استثار منه طاقته

الايحائية ، وحولها إلى لحمة تجمع بين الصوت والمعنى ،

وتشكل البناء الذي يكشف الأسرار الدالية ويبوح بها

بعد ذلك .

= (٢) ، (٣) انظر : ابن جني : الخصائص - ج ٢ - ص ١٦٣

(١) - ختم مقطع الفاصلة بحرف مد ونون ، حكمته وجود التمكين من

التطريب بذلك . انظر :

الزر كشي : البرهان في علوم القرآن - ج ١ - ص ٦٨

٣ - موافقة التركيب الصوتي للشخصية في أسلوب السرد القصصي القرآني

مما لا شك فيه أن لكل شخصية أسلوبها الخاص بها فهي الحديث ، وفي صوغ العبارات والتراكيب ، كما لكل منها بصمة تختلف بها عن غيرها ، أو نبرة صوتية لا تختلط بنبرة أصوات الآخرين ، ولذلك يكون الأسلوب كأنه " بصمات تحملها صياغة الخطاب ، فتكون كالشهادة التي لا تمحى " (١) .

إن الشخص " مادام يعبر عن نفسه وفرديته ، فإنه لا يستطيع أن يتحاشى الإبانة عن أسلوبه ، مهما حاول غير ذلك " ، لأن (٢) الكيفية التي يصوغ بها خطابه تحمل موسيقاه الخاصة ، التي تعدد ليلاً على ما في نفسه ، وترجماناً على مشاعره ، تسمع " فقط ، عندما تثار أمواج العاطفة ، أعني أن نسمات النفس تهب على سطح الأسلوب ، فتبعث فيه حركة منتظمة تختلف في سرعتها أو شكلها " ، وفي إيقاعها ، ما بين شخص وآخر ، وما (٣) بين حركة عاطفية وأخرى .

(١) - د . عبد السلام المسدي : النقد والحداثة - ص ٥٦

(٢) - د . رشاد رشدي : مختارات من النقد الأدبي الحديث - مطبعة :

العلوم - مصر - ١٩٥١ - ص ٨٨

(٣) - نفسه : ص ٨٨

والسرد القصي القرآني قد نقل اليها صوراً عن هذه الصفات
 الأسلوبية التي تتماشى فيها حركة الأسلوب مع حركة العاطفة؛
 فبيدنا نوح عليه السلام ، مكث في قومه ألفتنة إلاً خمسين
 عاماً يندعوهم فيها إلى عبادة الله ، لكن دعوته لم تزد لهم
 إلا فراراً ، ووصل بهم الأمر إلى أن يستغفروا نياهم ، حتى
 لا يسمعوا إلى قوله ، مما جعله ييأس بعد هذه المدة الطويلة
 التي قضاها في الدعوة ، دون أن تأتي أكلمها ، فيمغلي
 صدره غيظاً ، ويتوجه إلى ربه يشكو قومه ، ويدعووه أن
 يسلط عليهم عذابه . فيقول : " رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَبِئْسَ
 وَنَهَاراً ، فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَاراً ، وَإِنِّي كُلَّمَا
 دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا
 ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَاراً " (١)

وبعد عرضه لما بذله من جهد في سبيل الدعوة التي لم
 تثمر ، تنفجر نفسه عن دعاء مجلجل ، كأن أصواته قصف
 رعد يصك الأذان ، أو هدير إعصارٍ حل بالأرض يعلن الخراب والدمار ،

(١) - د . صبحي الصالح ؛ مباحث في علوم القرآن ص ٣٣٩

(٢) - سورة نوح : ٧٤ ، ٦٥ ، ٥

"رَبِّهِ لَاتَذَرُهُ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دِيَارًا ، إِيَّاكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا
عِبَادَكَ ، وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاكِرًا كَفَّارًا" .^(١)

لقد جندت في دعائه الموسيقى الداخلية ، مع موسيقى
(٢)

الفواصل ، وتضافرت على إصدار صدى تلك العاطفة المتأججة
في نفس نوح . ومما حقق توافؤم تلك الموسيقى مع الحالة
النفسية للشخصية ، ورود صوت الراء في آخر الفاصلة مشبعاً ،
يمتد صداه مع نَفْسِ الممد الذي يستمر بعد مضي نفس الصوت ،
وكان المتكلم يتخفف من أثقال تنقض ظهره ، ويفرغ عن
طريق الممد ماعاناه من قومه طوال تلك المدة التي قضاها
بين ظمرا نيمم ، يدعوهم إلى الله .

وهكذا فقد استطاع الأسلوب في هذا الحدث أن يعبر تعبيراً
فنياً عن مشاعر هذه الشخصية النبوية ، وأن ينقل للمتلقى
صوراً حسية منها ، فجاءت الأصوات والكلمات في هذه الحالة
معبرة موحية ، تدل بجرسها وبمعناها على ما تخمل من نزعات

(١) - سورة نوح : ٢٦ ، ٢٧

(٢) - الفواصل : جمع فاصلة ، وهي كلمة آخر الآية ، كقافية الشعر
وقرينة السجع .

انظر : الزركشي : البرهان في علوم القرآن - ج ١ - ص ٥٢ وما بعدها

نفسية خاصة بهذه الشخصية في لحظة إثارة عسا طفتها .
ولما كان الأسلوب هو التعبير عن المعنى المتملى في النفس ، ولما
كان الرجل هو أسلوبه ، حق للأسلوب أن يأتي متبعاً بموسيقى
لفظية ملائمة لخلجات النفس ، ومطابقة لصورتها .
(١)

وانطلاقاً من هذا المفهوم ، نقف مع لون آخر من الأساليب
التي تبدو فيها نسمات النفس أشد وضوحاً ، وأكثر بروزاً ، فننتعرف
إلى مناجاة " زكريا " عليه السلام ، لربه ، وهو في المحراب
متأجج العاطفة ، متهدج الصوت ، يشكو إلى ربه حزنه
وَأَسَاءَ ، وَخُوفَهُ مِنْ انْقِطَاعِ عَقْبِهِ ، فيقول : " رَبِّ إِنِّي وَهَنَ
الْعَظْمُ مِنِّي وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ، وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَاؤِكَ رَبِّ شَقِيحًا ، وَإِنِّي
خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي ، وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا ، فَهَبْ لِي مِنْ
لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِنُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ، وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا " .
(٢)

إن هذا النغم الصاعد إلى الله من خلال هذه المناجاة ،
" ليثير بكل لفظه صورة ، وينشيء في كل لحسن مرتعاً للخيال

(١) - د . رشاد رشدي : مختارات من النقد الأدبي المعاصر - ص ٨٨

وانظر كذلك ، أحمد الشايب : الأسلوب - ص ١٢١

(٢) - سورة مريم : ٤ ، ٥ ، ٦

(١)
 فسيحاً " . فيتمثل المتلقي هذا النبي وهو يرتل هذا الدعاء
 شيخاً وقوراً ، انحدت ظهره لثقل السنين ، وابيض شعره لكسب
 الجديدين ، وخلا فراشه من البنين والبنات ، فتوجه إلى ربه
 وهو قائم يصلي في المحراب بدعاء خفي ، تتجلى فيه لوعسة
 الإنسان المحروم ، وإيمان الصديق الصفي ، ويحس بمدى تلك
 النفس الضعيفة يتبعث من الياء المشددة المنونة التي كان
 يحط عندها زكرياء حمولة نفسه ، والتي صارت عند الوقف
 ألفا لينية ، صادفت اللفظة " خفياً " ، فتضافت معها ، لتزيد
 الدعاء ليونة ونعومة .

ويمكننا القول ، بأن التوافق الصوتي الدلالي في هذه
 المناجاة ، كان وليد التوافق المعنوي داخل نفس زكرياء ، فخص
 النظم للموقف الانفعالي والقيم الشعورية ، واقتفى آثار
 المعاني في النفس . (٢)

ان العريحقا ، كانت تناسب في كلامها بين الألفاظ ومعانيها ،
 " فجعلت الحرف الأضعف فيها ، والألين والأخفى ، والأسهل
 والأهمس ، لما هو أدنى وأقل وأخف عملاً أو صوتاً ، وجعلت

(١) - د. صبحي الصالح : مباحث في علوم القرآن - ص ٣٣٨

(٢) - عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز - ص ٩٣

الحرف الأقوى والأشد ، والأظھر والأجھر ، لما هو أقوى عملاً
(١)
وأعظم حجاً " .

والسرد القصصي في القرآن عبر بأسلوبه عن الأحداث ، ومعاصر
الشخصيات ، بطرق تتناسب فيما الألفاظ بمدلولاتها ، والأصوات
بمعانيها ، والعبارات بمفاهيمها ، حتى أن المتلقي يكاد ينفقه
المعنى المراد ، بمجرد سماعه للأصوات ، لما تتميز به من
تناسق وتناسب بين جرسها ومعناها .

إن الإيقاع الصوتي و التناسق الفني ، في السرد القصصي ،
يؤدي دوره كاملاً غير منقوص ، يلين ويشد ، يهدأ ويهيج ، ينساب
انسباباً كالماء ، أو يعصف عصفاً كالريح الصرصر ، وفق المقام ،
وحسب تقلبات الشخصيات .

ولاعجب ، إذا كانت هذه هي الخصائص الصوتية في السرد
القصصي ، ذلك أن القرآن الكريم نزل في أمة تسمع اللغة
أكثر مما تكتبها وتقرأها ، ولذلك روعي فيه من
سمات الفن المسموع ما يهمر ، حين يلقي إليه المتلقي السمع ،
ولأمر ما ، قال تعالى : " وَقُرْآنًا فَرَقْنَا ، لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ

(١) عَلَيَّ مُكِّيٌّ " ، ولأمر ما كذلك ، قال : " وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ
 تَرْتِيلاً " ، (٢) ذلك أن القرآن وعاءٌ ، الصوت والكلمة ، والكلمة
 فيه لا تتجرد من الموسيقى ، لاسيما وأن المتلقي هو الأمة
 العربية التي تتميز بمناعتها للشعر ، والتغني
 به في الوحدة والاجتماع .

(١) - سورة الاسراء : ١٠٦

(٢) - سورة المزمل : ٤

تقويم الفصل الرابع

xxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxx

إن الأصوات في إطار كل من الكلمة أو الجملة ، في السرد القصصي القرآني ، تتألف فيما بينها ، وتنظم بصورة موسيقية تيسير كلاً من التلاوة والإنصات .

لقد وزعت الحركات والسكنات توزيعاً يتجدد له نشاط السامع ، وحدث ذلك أيضاً الحروف المد والغنة ، مما أنتج ترجيع الصوت ، وتهيأ النفس ، إلى أن يبلغ آخِر الفاصلة ليستقر عندها .

لقد لاحظنا أيضاً توافق الأصوات مع الأحداث التي عبرت عنها ونقلتها ، حيث استطاعت تجسيد معاني تلك الأحداث للمتلقي ، وإخراجها في صورة صوتية معبرة ، حتى كأنه يراها ويحس بها ، كمثل ما وجدنا في حادثة الطوفان ، أو واقعة عقاب قوم هود ، أو غيرهما من الأمثلة .

وفيما يتصل بتوافق الصوت في أسلوب السرد القصصي في القرآن مع الشخصية الناطقة به ، والمعبرة به عن أحاسيسها ، فقد لاحظنا أن خصائص هذه الشخصية تنعكس على الأصوات المؤدية لمضامينها ، حيث كانت هذه الأصوات وجهاً من التعبير ، يماثل ما تريد الشخصية أن توصله لنا بالفعل .

- تقويم الباب الثاني -

أوقفنا دراستنا لأسلوب السرد القصصي في القرآن ، من حيث التعبير اللفوي ، في عرضنا لهذه الدراسة ، على صفحات الفصول الأربعة السالفة ، على أن الحدث لا يأخذ صفته السردية القصصية إلا وقد تلبس بأحرف اللغة ، وأخذ مقوماتها المختلفة المناسبة لطبيعته ، حتى يمكنه أن يخل من النفس البشرية محلاً يراد له من قبيل فاطر الأحداث واللغة ومستودعاتها ، في رؤوس المتلقين .

وهكذا يكون للإيجاز محله ، وللإيجاز مقامه ، فالإيجاز لدواع من العجلة المحتومة ، أو لمقام ينوب فيه الإيجاز دون التمهيط والاطناب . والبسط يكون في موقف يراد به تعديد الآلاء ، مثلاً ، فأحصاء الأنعم توطئة لما يعقبها من نكال ، وهكذا .

وتسخر اللغة العقل في المتلقي ، لربط مفاصل الجملة بصورة لاتلفي وطيفة حروف العطف ، ولا تمون منها ، أو تضع واحدا في موضع لا يستقيم إلا الآخر .

ولقد كشفنا المدرس عن أساليب النحو في ضبطها للظاهرة

اللغوية ، وكذا مسؤ وليتها عن تحقيق أسلوب السرد القصصي

في القرآن ، من الوجهة اللغوية .

وأكبر مثال على ذلك ، أسلوب التوكيد الذي يقع في السرد

مداولة بين الأنبياء المبشرين ، وبين الكفار المكذبين ، وتنوع

أداته وفق الحالة المؤكدة ، على أن اللغة تكون مطهراً أكيداً

لأسلوب السرد القصصي في القرآن ، من حيث أداؤها الصوتي

الذي تجمعت فيه الأحرف والكلمات والجملة ، بل الشخصية المكتوبة

والأحداث ، إذ برهن الصوت على أنه يوافق مادة حدثه ويثاكلها ،

على نقيض ما توهم " دي سوسيور " ، كما برهن الصوت على أنه

كان قوام رسم لغة الشخصيات في اختلافها ، وفق الفروق

الفردية القائمة بين بني الانسان .

الخاتمة

خاتمة .

xxxxxxxxxxxxxxxxxxxx

مما سبق كافة ، تبين لنا بالتدرج ، أن ما قدمناه من فرض في المقدمة ، سَمَّا إلى تحقيقه في بابين مكونين من سبعة فصول ، هي تحقيق للفرض .

أبان نقاش الحدث في الفصل الأول أنه جرى على شاكلة من الاعتقاد ، تنجبه إلى الإعجاز وإلى كسر الناموس ، لإظهار ربوبية الله ، ومنزلة رسوله أُنبييه ، وفساد المناوئين ، كما أن شطراً من هذا الحدث تتقدمه نبوءة يرهص بتحققها السرد ، وتختتم بإنجازها .

ومسرح الحدث لا يكون غفلا في كثير من الأحيان من الزمان أو المكان ، لتستتم إضاءة الحدث عند المتلقى ، وتثبت أركانها ، وتتم به الإبانة ، ونيابة السرد عن الحدث .

وفي نقاش الشخصية التي تحمل الحدث إلى أحياء التحقق والحدث ، استكشفنا أن بناء الشخصية تكامل له أبعادها المختلفة ، من جسمانية ونفسية واجتماعية ، وهي تلك الأبعاد التي تؤهلها للمتلقى ، وتمكنه من تمثلها ، واستبطانها ، واستظهارها ، وهذه الشخصية قد تكون مسالمة هادئة مطمئنة ،

أوشريرة قاتلة دموية معتدية ، كما أنها بالمقابل ، تكون
انبساطية أو انطوائية ، وهي في ذلك كله لون من الشخصية
الدائرية ، دون المسطحة أو النمطية ، إضافة إلى أنها لا يمنع
فيها الدور لشخصيات محورية فحسب ، بل تتعداها إلى النكرات
والشخص الثانوية التي قد تكون من الطيور أو النبات أو الجماد
أو الحيوان ، وجعلتها مما يشد في صيرورته عضد الشخصية
المحورية ، في ارتفاعها بالحدث إلى الذرى ، وإلى خطوطه
الدرامية الفاصلة .

وفي الصراع تبين لنا أنه مبني على أسس من بناء الشخصية
وأبعادها المختلفة ، ومقدماتها الأساسية ، ومعتقداتها
وأنه صن اللون المتدرج الذي يدفع بالحدث خطوة خطوة ،
دون أن يكون من اللون الساكن الذي لا يريم عن نقطة البدء
ومقدماته ، كما أنه ليس كذلك من النوع الواثق الذي لا ينبني
على التسلسل أو وصل الحلقات بعضها ببعض ، في تطلبه
الذرى ، والقرار ، ثم الحلول .

إن هذا الصراع يبدأ فكرياً ، ويتوسط بالنزاع النفسي ، ثم
يختتم بالصراع المادي الذي تدخله جنود الطبيعة .

وهو لا محالة مختتم بانتصار الخير ودحر الباطل ، فالأنبياء
يضربون وفي معيتهم عناية الله ورعايته ، وبذلك يأخذ الصراع
في هذه الصورة بعد تدرجه الكامل ، الشكل الانقلابي ، الذي
ناقشناه في الفصل الأول ، حيث يخرق الناموس ، ولا يستسلم
للقاعدة .

لقد كان نقاشنا في الباب الأول بحثا عن السرد في الحدث ،
ولقد اتضح أن الحدث وجه لهذا السرد ، فالحدث هو مادة
التتالي على وسائط من المكان والزمان ، والشخص وحمولة
بالصراع وبناتجه ، التي هي لها نظام خاص نألفه بالتدرج ،
هو ما أسلفناه من بلوغ إلى المعجزة ، وتدمير الباطل والمبطلين
بإثمهم ، فيما سماه الكفار أساطير الأولين . وهي السرد الذي
فتنوا به ووجدوا أعلاه مثمرا ، وأسفله مفدقا ، وفي قوله
حلاوة ، وعليه طلاوة ، (١).

وفي نقاش السرد من حيث اللغة ، تبين لنا أن اللغة هي
الحامل المناسب ، والشارة الصالحة لسرد الأحداث على شاكلتها
السالفة ، فاللغة أحيانا مفصلة حين يكون ثمة حتم

(١) - ابن هشام: السيرة - ص ٨٥

• بالاستعمال والتداول

بأن الأصوات في الحروف في هذه اللغة المتعملة في
 السرد القصصي في القرآن ، كما تبيننا ، ليوافق فيها السدال
 المدلول ، ولا يتجافى معه ، ولا يجادل ، بل يحمل جهارته
 ان كان مجهورا ، أو همسه ان كان مضموساً ، أو صفيـره
 ان كانت له طبقة الصفير ، أولينه ان امتد ليـسمى
 البعيد بأحرف اللين ، وهكذا .

مراجع مختلفة

- أباطة ثروت:

السردي القصصي في القرآن الكريم - دار نهضة مصر للطباعة والنشر - القاهرة .

- ابن الأثير ، ضياء الدين :

المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر - تحقيق : د. أحمد الحوفي ، د. بدوي طبانة - دار الرفاعي - الرياض - ط ٢ - ١٩٨٣ .

- الإسكافي ، الخطيب :

درة التنزيل وغرة التأويل - برواية : أبي الفرج الأرسطاني - دار الأفاق الجديدة - بيروت - ط ٤ - ١٩٨١ .

- إسماعيل ، عز الدين :

الأسس الجمالية في النقد العربي - دار الفكر العربي - القاهرة - ١٩٧٤ .

- أمين ، بكري الشيخ :

التعبير الفني في القرآن - دار الشروق - بيروت ، القاهرة - ط ٤ - ١٩٨٠ .

- الأنباري ، كمال الدين أبي البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد

الانصاف في مسائل الخلاف ، بين النحويين البصريين والكوفيين -

المكتبة التجارية - مصر - ط ٤ - ١٩٦١ .

- الباقلائي ، أبو بكر محمد بن الطيب :

اعجاز القرآن - تحقيق : السيد أحمد صقر - دار المعارف -
بمصر - ط ٢ .

- بدوي ، عبد الرحمن :

دور العرب في تكوين الفكر الأروبي - وكالة المطبوعات - الكويت
دار القلم - بيروت - ط ٣ - ١٩٧٩ .

- بدوي ، عبد الرحمن :

مناهج البحث العلمي - وكالة المطبوعات - الكويت - ط ٣ - ١٩٧٧ .

- بلاشير ، ريجيس :

تاريخ الأدب العربي - ترجمة : د . إبراهيم الكيلاني -
ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر - ١٩٨٨ .

- بناني ، محمد الصغير :

النظريات اللسانية والبلاغية عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين -
ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر - ١٩٨٣ .

- بهجت ، أحمد :

قصص الحيوان في القرآن - دار الشروق - ط ١ - ١٩٨٣ .

- التفنازاني ، مسعود بن عمر بن عبد الله سعد الدين :

شرح السعد ، المسمى : مختصر المعاني في علوم البلاغة -

تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد - مطابع المدني ، شارع العباسية
القاهرة .

- جاد المولى ، محمد أحمد :

قصص القرآن - دار الفكر للنشر والتوزيع - عمان بالأردن - ١٩٧٨ •

- الجرجاني، عبد القاهر:

دلائل الإعجاز - تحقيق وشرح : محمد عبد المنعم خفاجي -

مطبعة الفجالة الجديدة - القاهرة - ط ١ - ١٩٦٩ •

- ابن جعفر ، قدامة :

نقد النثر - دار الكتب العلمية - بيروت - ١٩٨٢ •

- أبو جندي ، خالد أحمد :

الجانب الفني في القصة القرآنية ، منمجا وأسر بنائها -

دار الشهاب - باتنة - الجزائر •

- ابن جنبي ، أبو الفتح عثمان :

الخصائص - تحقيق : محمد علي النجار - دار الكتاب

العربي - بيروت •

- حسن ، غازي :

مناهج البحث - مؤسسة شباب الجامعة - الإسكندرية - ١٩٨١ •

- حفني ، عبد الحلیم :

أسلوب المحاوره في القرآن الكريم - الهيئة المصرية

العامه للكتاب - ط ٢ - ١٩٨٥ •

- الحموي ، ياقوت :

معجم البلدان - دار بيروت للطباعة والنشر - ط ١ - ١٩٥٧ .

- الخطيب ، ابراهيم :

نظرية المنهج الشكلي ، (ترجمة) ، مؤسسة الابحاث
العربية - بيروت - ط ١ بالعربية - ١٩٨٢ .

- خلف الله ، محمد أحمد :

الفن القصصي في القرآن الكريم - مطبعة الأنجلو المصرية -
القاهرة - ط ٣ - ١٩٦٥ .

- دراز ، محمد عبد الله :

النبا العظيم - دار القلم - الكويت .

- الرازي :

مختار الصحاح - مكتبة لبنان .

- الرفاعي ، مصطفى صادق :

تاريخ آداب العرب ج - مطبعة الاستقامة - القاهرة - ١٩٤٠ .

- ابن رشد :

فصل المقال - تقديم وشرح : د. أبو عمران الشيخ ، والأستاذ

جلول البدوي - الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر .

- رشدي ، رشاد :

فن القصة القصيرة - دار العودة - بيروت - ط ٢ - ١٩٧٥ .

- رشدي ، رشاد :

مختارات من النقد الأدبي المعاصر - مكتبة الأنجلو

المصرية - ١٩٥١ .

- ريتشارد س . لازاروس :

الشخصية - ترجمة الدكتور سيد محمد غنيم ، مراجعة

الدكتور محمد عثمانى - ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر - ١٩٨٥ .

- الزركشي ، بدر الدين محمد بن عبد الله :

- البرهان في علوم القرآن - تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم

دار احياء الكتب العربية .

- زغلول ، سعد :

- تاريخ العرب قبل الاسلام - دار النهضة العربية - بيروت - ١٩٢٦ .

- زكي ، أحمد كمال :

دراسات في النقد الأدبي ، دار الاندلس - ط ٢ - ١٩٨٠ .

- سالم ، عبد العزيز :

تاريخ العرب قبل الاسلام - مؤسسة شباب الجامعة - الإسكندرية

- سعد الدين ، ليلي حسن :

كليلة ودمنة في الأدب العربي - دار المعارف للطباعة - دمشق .

- السكاكي ، يوسف بن أبي بكر محمد بن علي :

مفتاح العلوم - دار الكتب العلمية - بيروت .

- علوم ، تامر :

نظرية اللفظة والجمال في النقد العربي - دار الحوار للنشر
والتوزيع - اللاذقية - سوريا - ط ١ - ١٩٨٣ .

- السيوطي ، جلال الدين :

لباب النقول في أسباب النزول - الدار التونسية للنشر - تونس
ط ٣ - ١٩٨٤ .

- السيوطي ، جلال الدين :

المزهر في علوم اللغة وأنواعها - شرح وضبط وتصحيح وتعليق :
محمد أحمد جاد المولى ، وعلي محمد البجاوي ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم
دار احياء الكتب العربية .

- السيوطي ، جلال الدين :

اتمام الدراية لقراء النقاية - المطبوع على هامش :
مفتاح العلوم ، للسكاكي - دار الكتب العلمية - بيروت .

- الشاروني ، يوسف :

دراسات في الرواية والقصة القصيرة - مطبعة الانجلو المصرية
١٩٦٧ .

- الشايب ، أحمد :

الأسلوب ، دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأشايب الأدبية -
مطبعة النهضة المصرية - القاهرة - ط ٦ - ١٩٦٦ .

- شرف ، حفني محمد :
- التصوير البياني - مكتبة الشباب - المنيرة - ط ٢ - ١٩٧٣ .
- الشعراوي ، محمد متولي :
- كتيب تفسير سورة الأعلى . الغاشية . الفجر - مكتبة :
القرآن - ١٩٧٩ .
- الشعراوي ، محمد متولي :
- معجزة القرآن - (كتاب اليوم) دار الكتب والوثائق القومية -
١٩٨٢ .
- الصالح ، صبحي :
- مباحث في علوم القرآن - دار العلم للملايين - بيروت -
ط ٧ - ١٩٧٢ .
- الطاهر ، علي جواد :
- مقدمة في النقد الأدبي - المؤسسة العربية للدراسات
والنشر - بيروت - ط ١ - ١٩٧٩ .
- طيارة ، عفيف عبد الفتاح :
- مع الأنبياء في القرآن - دار العلم للملايين -
بيروت - ط ٨ - ١٩٨٠ .

- طبانة، بدوي :

قضايا النقد الأدبي - مكتبة الانجلو المصرية - ١٩٨٤ .

- طحان ، ريمون :

الألسنية العربية (٢) - دار الكتاب اللبناني - بيروت -
ط ٢ - ١٩٨١ .

- عامر ، فتحي أحمد :

المعاني الثانية في الأسلوب القرآني - منمأة المعارف -
الأسكندرية - ١٩٧٦ .

- عبد الباقي ، محمد فؤاد :

المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم - دار الحديث - القاهرة -
ط ١ - ١٩٨٧ .

- عبد ربه ، عبد الحافظ :

بحوث في قصص القرآن - دار الكتاب اللبناني - بيروت -
ط ١ - ١٩٨٢ .

- العسكري ، أبو هلال :

الصناعتين - مطبعة محمود بك - الاسنانة - ١٣١٩ .

- الفزالي ، محمد :

نظرات في القرآن - دار الشباب - باتنة - الجزائر .

- الفارابي ، أبو نصر :

المدينة الفاضلة ، و مختارات من كتاب الملة - طبع المؤسسة
الوطنية للفنون المطبعية وحدة الرغاية - ١٩٨٧ .

- فرويد ، سيجموند :

معالم التحليل النفسي - ترجمة : د . محمد عثمانى -
دار النهضة العربية - القاهرة - ط ٤ - ١٩٦٦ .

- ابن قتيبة ، :

تأويل مشكل القرآن - شرح ونشر : السيد أحمد صقر - المكتبة
العلمية - بيروت - لبنان - ط ٣ - ١٩٨١ .

- القرطاجني ، أبو الحسن حازم :

منهاج البلغاء وسراج الأدياء - تحقيق : محمد الحبيب بن الخوجة
دار الغرب الاسلامي - بيروت لبنان - ط ٢ - ١٩٨١ .

- قصار ، الشريف :

معاني الحروف في القرآن الكريم - المؤسسة الوطنية للكتاب
الجزائر - ١٩٨٤ .

- قطب ، سيد :

التصوير الفني في القرآن - دار الشروق - بيروت - القاهرة
ط ٧ - ١٩٨٢ .

- قمحاوي ، محمد الصادق :

الايجاز والبيان في علوم القرآن - مكتبة عالم الفكر - القاهرة .

- الكلاعي ، أبو القاسم محمد بن عبد الغفور ، الملقب :
بذي الوزارتين :

احكام صنعة الكلام - تحقيق : محمد رضوان الداية - دار الثقافة
بيروت - ١٩٦٦ .

- ابن الكلبي ، أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي :
الأصنام - تحقيق : الأستاذ أحمد زكي باشا - دار الكتب
المصرية - القاهرة - ط ٢ - ١٩٢٤ .

- لاجوس ، اجري :

فن كتابة المسرحية - ترجمة : دريني خشبة - مكتبة
الانجلو المصرية .

- المبارك ، محمد :

دراسة أدبية لنصوص من القرآن - دار الفكر - بيروت .

- المبرد ، أبو العباس محمد بن يزيد :

الكامل - دار الفكر - بيروت .

- محمود ، مصطفى :

القرآن ، محاولة لفهم عصري - دار المعارف - القاهرة - ط ٤ .

- مرتاض عبد الملك :

النص الأدبي ، من أين ؟ والى أين ؟ - ديوان المطبوعات

الجامعية - الجزائر - ١٩٨٣ .

- المرزوقي ، سمير ، وشاكر جميل :
- مدخل السّ نظرية القصة - ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر .
- المسدي ، عبد السلام :
- الاسلوبية والأسلوب - الدار العربية للكتاب - ط ٢ - ١٩٨٢ .
- المسدي ، عبد السلام :
- النقد والحداثة - دار الطليعة - بيروت - ط ١ - ١٩٨٣ .
- المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي :
- مروج الذهب ومعادن الجوهر - دار الكتاب اللبناني - بيروت - ط ١ - ١٩٨٢ .
- المليجي ، حلمي :
- علم النفس المعاصر - دار المعرفة الجامعية - ط ٥ - ١٩٨٣ .
- ابن منظور :
- لسان العرب - دار صادر دار بيروت .
- مهران ، محمد يوسف :
- دراسة تاريخية من القرآن الكريم (فسي بلاد العرب) - مطابع
جامع الامام محمد بن سعود الاسلامية - ١٩٨٠ .
- موسى ، محمد يوسف :
- القرآن والفلسفة - دار المعارف - مصر - ط ٣ - ١٩٧١ .
- ناصف ، مصطفى :
- مشكلة المعنى - مكتبة الشباب - القاهرة ط ١ - ١٩٧٠ .

- ابن نبي ، مالك :

الظاهرة القرآنية - ترجمة : عبدالصبور شاهين - دار الفكر
دمشق - ١٩٨٥ .

- النجار ، عبد الوهاب :

قصص الانبياء - دار الفكر - بيروت - لبنان .

- نجم ، محمد يوسف :

فن القصة - دار الثقافة - بيروت .

- نقرة ، التهامي :

سيكولوجية القصة في القرآن - الشركة التونسية للتوزيع
تونس - ١٩٧٤ .

- الهاشمي ، أحمد :

جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع - دار الفكر
بيروت - ط ١٢ - ١٩٧٨ .

- الهاشمي ، عبد الحميد محمد :

لمحات نفسية في القرآن الكريم - نشر وتوزيع مكتبة رحاب
الجزائر .

- ابن هشام ، أبو محمد عبد الملك :

السيرة النبوية - تهذيب عبد السلام هارون - دار الفكر - بيروت .

- هلال ، محمد غنيمي :
النقد الأدبي الحديث - دار نهضة مصر للطبع والنشر -
الفيحة - القاهرة - .

- ويلك ، رونييه و أوستن وارين :
نظرية الأدب - ترجمة : محيي الدين صبحي - مراجعة :
الدكتور حسام الخطيب - مطبعة خالد الطرابيشي - ١٩٧٢ .

* دوريات *

- أناييرنسن :

كتابة الرواية - ترجمة : محمود منقذ الهاشمي - الموقف

الأدبي - العدد ١١٥ - تشرين الثاني - ١٩٨٠

- كمال الدين محمد :

العرب والمسرح - كتاب الهلال - العدد ١٦١ - ماي ١٩٧٥ .

- محمد عبد العادي :

صورة من طابا - مقال بجريدة الاهرام الدولي - العدد :

٨٧ ٢٧١ - المؤرخ ب ١ اكتوبر ١٩٨٨ - القاهرة .

* مراجع باللغة الأجنبية *

١ - André Martinet : Elément de Linguistique Générale.

Armand Colin 1968 - P. 32

٢ - Ferdinand de SAUSSURE : Cours de Linguistique Générale.

Publié par : Charles BALLY et

Albert Sechehaye. Payot Paris

1962- P.P. 97- 103.